خطب الجمعة

السلسلة النورانية في التربية الربانية

الدعاء والذكر

لفضيلة الإمام العلامة

نور الدين

علي جمعة

مفتي الديار المصرية

الوسيل

الدعاء والذكر

الدعاء والذكر

لفضيلة الإمام العلامة

نور الدين

علي جمعة

مفتي الديار المصرية

الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر
تراثنا ..... أمانة في أعناقنا

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
لشركة الوابل الصَّيِّب
للإنتاج والتوزيع والنشر

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب
والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

جمعة، علي
سلسلة الدعاء والذكر/ علي جمعة
القاهرة: الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع
والنشر، ٢٠٠٨
١٢٨ ص؛ ٢٤سم.
تدمك ١٦٩-٦٢١٤-٩٧٧
١- خطبة الجمعة
٢- الأدعية والأوراد
أ- العنوان
٢٥٢,٢٣

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م
رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٩٤٧١
الترقيم الدولي I.S.B.N.

الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر
تراثنا ..... أمانة في أعناقنا

٧٠٤٧ شارع ١٧- المقطم - القاهرة - مصر
تليفون: ٢٥٠٨٧٣٨٣- ٢٠٢+ - ٢٥٠٧٦١٤٥- ٢٠٢+ - محمول ٠١٨١٧٥٥٥٦٦
E-Mail: Info@Alwabell.com
www.alwabell.com
www.alimamalallama.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد..

فإن الدعاء والذكر يقعان موقعًا هامًا في ديننا، فنجد القرآن يتحدث عن دعاء الأنبياء -وهم قدوة البشر- في عدة مواطن وينقل لنا الكثير من ذلك بل ينقل كيف كانوا يدعون ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

ويرغبنا الله ﷻ في الدعاء ويبشرنا بالإجابة فيقول جل ذكره: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ويتودد إلينا عن طريقه فيقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٦]. وجعل النبي ﷺ الدعاء هو العبادة أو هو لب العبادة حيث إنه هو الدليل الأكبر على الإيمان بالله تعالى وحسن التوكل عليه وكمال الثقة به، فقال ﷺ: «**الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ**»(١).

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات- باب فضل الدعاء: ٤٥٦/٥ برقم ٣٣٧١. وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وفي رواية: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»[1].

ويحثنا القرآن الكريم على دوام الذكر فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤١]، وأن المسلم بهذا الذكر ينال معية الله ﷻ وذكره فقال ﷻ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢]، ويقول في الحديث القدسي: «**مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ مِنَ النَّاسِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَطْيَبَ**»[2]، «**أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**»[3].

وفي هذا الكتاب المبارك نعيش مع بعض الخطب التي ألقاها فضيلة الإمام العلامة **علي جمعة** يتحدث فيها عن فضل الدعاء والذكر، والآداب التي يجب أن يتحلى بها المسلم في ذلك وما يجعلهما أرجى للقبول وسببًا في الوصول.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الذاكرين الله كثيرًا ومن مقبولي الدعاء وأن يمن علينا بدوام الهداية والتوفيق.

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير- باب تفسير سورة المؤمن: ٢١١/٥ برقم ٢٩٦٩ وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه ابن حبان: كتاب البر والإحسان: ٣٦/٢ برقم ٣٢٨. والحاكم: كتاب التوبة- باب من ذكر الله في نفسه: ٢٧٥/٤ برقم ٧٦٢٥ وقال: صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾: ٢٧٣٥/٦ برقم ٧٠٨٥ طبعة اليمامة- بيروت.

ولَذِكْرُ اللّهِ أكْبَرُ

من أفكار الخطبة:

١- ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة:١٥٢].

٢- الذِّكْر يشمل كل ميادين الحياة.

٣- آثار الذِّكْر على الذَّاكرين والحياة.

وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ

أما بعد:

يقول ربنا ﷻ في محكم كتابه مبينًا ومرشدًا: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، كلمات بليغات، قليلة اللفظ جليلة المعنىٰ...؛

لما كنا في مراحل الطلب جلس الشيخ يشرح لنا معانيها لأكثر من عامين، ثم بعد ذلك اكتشفنا أننا قد انتهينا من الكلمة الأولىٰ! ﴿فَاذْكُرُونِيٓ﴾ ولم ندخل بعد في قوله تعالىٰ: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ ولم ندخل في قوله: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي﴾ ولا في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بعد عامين من الشرح في قوله تعالىٰ ﴿فَاذْكُرُونِيٓ﴾.

وهذا شأن كلام ربنا ﷻ، وهذا هو ما ينبغي علينا أن نفعله مع كتاب ربنا، أن نجعله كتاب هداية ومحلاً للتدبر والتفكر.. محلاً لتحويل أوامره ﷻ ونواهيه إلىٰ واقع نعيشه، ونتأمل في هذه الأوامر وتلك النواهي، وذلك حتىٰ نسعد مع السعداء بنور هداية الله ﷻ، ﴿فَاذْكُرُونِيٓ﴾ كلمة واحدة عليها قوام الدنيا وصلاحها، وعليها قوام سعادة الإنسان وطمأنينة قلبه، وبها تتأكد الصلة بين الخالق والمخلوق، ومن خلالها يغرق الإنسان في بحر من النور، فيكون غريق النور وليس غريق الفساد والظلمة، ولا غريق الاغترار والمعصية..!

وفصَّل رسول الله ﷺ وهو يُبَيِّن عن ربه كيف نذكر ربنا ﷻ في كل وقت وحين، وكيف نطور حياتنا إلىٰ ذكر لله بالإيمان وبالعمل، وكيف يؤثر هذا الذكر في تلك الحياة وفي مظهرها؛ فقد كان رسول الله ﷺ قرآنًا يمشي علىٰ

الأرض، وكان كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**»[1]، والنبي ﷺ تعلق قلبه بذكر الله، ونسي الدنيا ونسي من فيها وما فيها ولكنه لم ينس ربه. حتىٰ لمح هذا من تكلم عن نسيانه في الصلاة فقال:

يا سائلي عن رسول الله كيف سها ❊ والسهو من كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شيء سره فسها ❊ عما سوىٰ الله فالتعظيم لله

كان قلبه ﷺ مع ربه دائمًا، وقد ينغلق قلبه مع الخلق بعض الوقت، وهو مكلف بالتبليغ.. مكلف بإرشاد الخلق إلىٰ دين الحق.. مكلف بأن يتصل بهم، فيستغفر الله في اليوم سبعين مرة لغين أنوار قد أغلق باب قلبه مع الخلق[2]؛ أما باب قلبه مع الحق فهو مفتوح دائمًا..

هذا هو الأسوة الحسنة، وهذا هو رسول رب العالمين.

كان إذا استيقظ في الصباح ذكر ربه فقال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ**»[3]، ثم إذا قام من فراشه قال: «**أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ**»[4]، وكان إذا دخل الخلاءَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**»[5]، والخُبُثُ -بضم الخاء- جمع الخبيث: وهو من شياطين

---

(١) بهذا اللفظ رواه أحمد في مسنده عن السيدة عائشة رضي الله عنها: ٢٤٧٧٤، وأصله عند مسلم: ١٦٨٩.

(٢) فقد ورد في الصحيح: عَنِ الأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ -وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**». رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء- باب استحباب الاستغفار: ٢٧٠٢.

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات- باب ما جاء في فضل الدعاء: ٣٤٠١، من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء- باب التعوذ: ٢٧٢٣ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري في: كتاب الوضوء- باب ما يقول عند الخلاء: ١٤٢. ومسلم في: كتاب الحيض- باب ما يقول إذا دخل الخلاء: ٣٧٥.

الجن، والخبائث جمع الخبيثة: وهي من شياطين الجن، فيستعيذ من ذُكرانهم وإناثهم عند دخول هذا المحل الذي تتوارىٰ فيه الفضلات..

يؤمن بالجن لأنه يؤمن بالغيب ولأنه أيضًا يؤمن بالحقيقة.. يؤمن بالجن لأن الله ﷻ أخبرنا عن وجودهم؛ فلا نتكتم ولا نخفي ما وراء المنظور بل نؤمن بما قاله الله ورسوله مطمئنين إليه؛ لأنه الحق عرفناه أو لم نعرفه، أدركناه أو لم ندركه؛ فإنه قد ثبت عندنا قطعًا بالعقل أن الله ﷻ واحد أحد، فرد صمد، متصف بصفات الجلال والجمال والكمال، وإنه الصادق فيما يخبر، وأن النبي محمد ﷺ رسولٌ من عند الله، بلَّغ الرسالة وأدىٰ الأمانة فلم يُقصِّر، وأن القرآن حق، وأن الملائكة حق، وأن الجن حق، وأن يوم القيامة حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الحساب والحشر والميزان حق، ثبت لدينا بما لا يدع مجالا من الشك، فهذا اليقين هو الذي تحكَّم في سلوك المسلم ليل نهار، هذا هو الذي جعل المسلم عابدًا لربه، معمرًا لكونه، رؤوفًا بالخلق، هذا هو الذي جعل المسلم يصلح ولا يفسد.... أنه يسجد لرب العالمين.. لغيب الغيوب.. لربِّ علام الغيوب ﷻ.

كان ﷺ إذا دخل الخلاء دخل بيساره ودعا هذا الدعاء، إعلامًا وتعليمًا لأمته بأن الله ﷻ مذكور علىٰ كل حال وفي كل هيئة، ونرىٰ الكون من خلاله.. نرىٰ هذا الكون من خلال ربنا ﷻ، فهو لا يغيب عنا طرفة عين، ولذلك ندعوه ﷻ أن لا يكلنا لأنفسنا ولا لأحد من خلقه كذلك، ولو طرفة عين، وأن لا يتركنا طرفة عين، فلا حول ولا قوة إلا بالله ولا حول ولا قوة لنا، إنما الحول والقوة به وله وحده ﷻ.

وكان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «**غُفْرَانَكَ**»[1].. كلمات بليغات

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الطهارة- باب مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ الْخَلاَءَ: ٣٠. والترمذي: =

خفيفة على اللسان عظيمة في الميزان لها أكبر الأثر في ذكر الله على كل حين.. في ذكر الله على كل حال.. في ذكر الله في كل شيء، يخرج فيقول: (غفرانك) كلمة تحفظها ولكن ينبغي أن تداوم عليها، فإن كثيرًا من الناس على الرغم من خفة هذا العمل لا يداوم عليه ولا يذكر الله في كل وقت وحين.

وكان إذا شرع في وضوئه يذكر الله ويقول لأصحابه: «**تَوَضَّأُوا بِسْمِ اللهِ**»(١) وكان يحب ذكر الله في كل عمل له بال، في كل عمل له خطر وشأن، دائمًا. ويقول: «**كُلُّ كَلاَمٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللهِ ﷻ فَهُوَ أَبْتَرُ** -أَوْ قَالَ- **أَقْطَعُ**»(٢) ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] هو المقطوع.

الوليد بن المغيرة نزل فيه قول الله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المُدَّثر: ١١-١٧] وذلك أنه كان له أحد عشر ولدًا، منهم خالد بن الوليد، ومنهم الوليد بن الوليد رضي الله عنهما، أسلما وحسن إسلامهما وجاهدا في سبيل الله، وتسعة ماتوا في حياة أبيهم، والوليد بن المغيرة هذا كان من المستهزئين الهالكين الذين كفى الله ﷻ رسوله الكريم، وكان ممن قال إن محمدًا أبتر، وأنه لم ينجب ولدًا يحمل اسمه فكل أبنائه ﷺ ماتوا صغارًا؛ فإذ بذِكر محمد ﷺ يعمّ المعمورة، وإذ بذكر محمد ﷺ يعم

=
كتاب الطهارة- باب مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلاَءِ: ٧ من رواية السيدة عائشة رضي الله عنها، وقال: حديث حسن.

(١) أخرجه النسائي: باب التسمية عند الوضوء، برقم: ٧٧، وابن خزيمة: كتاب الوضوء- باب جماع أبواب الوضوء، برقم: ١٤٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب النكاح- خطبة النكاح، برقم: ١٨٩٤. وابن حبان في صحيحه، المقدمة، وأحمد في مسنده: ٨٤٩٤. واللفظ له. كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الأوقات، وإذ بذِكر محمد ﷺ يعم الأشخاص، ويذهب الوليد بن المغيرة إلى جهنم.. حتى تقول له الملائكة: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] أي في اعتقادك عند قومك- وقيل إن هذه الآية في أبي جهل[١].

الوليد بن المغيرة ذهب وذهبت أيامه ولا يُذكر إلا والنحس معه، وكذلك ذهب أبو جهل، والوائل بن العاص وغيرهم من العتاة المستكبرين المستهزئين...

أما محمد ﷺ فهو أكثر من تسمى باسمه البشرُ إلى يومنا هذا، وفي الموسوعات التي فيها الأرقام القياسية أن محمدًا هو الاسم الأكبر في هذا الكون هذا، يتسمى به أكثر من تسعين مليون نسمة، اسمهم محمد.

فعمَّ اسمه الأوقات في الصلوات الخمس، في الآذان يعم الأرض كلها، وعم اسمه المكان، وعم اسمه الأشخاص ﷺ.

وكان ﷺ يحب أن يبدأ **بالبسملة** في كل أمر ذي بال، كان يبدأ بها عند الوضوء وكان يبدأ بها عند غسله، وكان يبدأ بها عند مفتتح جلسته، وكان يبدأ بها في كل أمر ذي بال حتى يكون مبدوءًا بذكر الله ﷻ، وقد نبه أيضًا وقال: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ للهِ فَهُو أَبْتَر**» وفي رواية: «**بِذِكْرِ اللهِ**»[٢]،

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره: سورة الدخان، آية: ٤٩، عَنْ قَتَادَة: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ نَزَلَتْ فِي عَدُوّ اللهِ أَبِي جَهْل، لَقِيَ النَّبِيّ ﷺ، فَأَخَذَهُ فَهَزَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَوْلَى لَك يَا أَبَا جَهْل فَأَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى لَك فَأَوْلَى، ذُقْ إِنَّك أَنْتَ الْعَزِيز الْكَرِيم، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: أَيُوعِدُنِي مُحَمَّد، وَاَللهِ لَأَنَا أَعَزّ مَنْ مَشَى بَيْن جَبَلَيْهَا. وَفِيهِ نَزَلَتْ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان:٢٤]، وَفِيهِ نَزَلَتْ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩﴾ [العلق: ١٩]. وَقَالَ قَتَادَة: نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْل وَأَصْحَابه الَّذِينَ قَتَلَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْم بَدْر: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه: ١٦٣/١١ برقم ٢٠٢٠٨، والدارقطني في سننه: ٢٢٩/١.

وعلىٰ ذلك فالمقصود بالبسملة وبالحمدلة هو الذكر، هو أن نبدأ أعمالنا بذكر الله ﷻ وعلىٰ هذا بدأ المصنفون والمؤلفون كتبهم بالبسملة وبالحمدلة وبالصلاة علىٰ سيدنا رسول الله ﷺ والشهادتين، إعلانًا إلىٰ أن هذا العلم إنما هو من إطار ذكر الله، وأنه يبدأ بالله وينتهي بالله، وأنه لا يكون تصرفٌ في هذا الكون إلا كما أمر الله.. إنه تبرؤٌ من الحول ومن القوة.. إنه التجاء إلىٰ الله ﷻ في كل وقت وحين.

وكان ﷺ إذا خرج من بيته قال: «**بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ**»(١)، كان ﷺ إذا سافر في طريق فيه مرتفع وصعد هذا المرتفع كبَّر وقال: الله أكبر الله أكبر، وإذا كان فيه منخفض نزل هذا المنخفضَ وسبَّح وقال: سبحان الله سبحان الله كما أخرج البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا(٢)، وكان ﷺ إذا دخل المسجد قال: «**اللَّهُمَّ افْتَحْ لَنَا أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»(٣)، ثم بعد ذلك يشتغل بمحض الذكر.. بالصلاة التي تبدأ بالذكر: «الله أكبر» ولا يحدث فيها إلا الذكر «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»(٤)، ثم ينهيها بذكر الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم يذكر الله بعدها كما ذكره قبلها ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فكان

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب- باب ما يقول الرجل إذا خرج من بيته: ٥٠٩٥، وأخرجه الترمذي: في كتاب الدعوات- باب ما يقول إذا خرج من بيته: ٣٤٢٦، وقال: حسن صحيح غريب، وأخرجه ابن حبان: في الرقائق- الأذكار، برقم: (٨٢٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد- باب التسبيح إذا هبط واديًا: ٢٩٩٣.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب ما يقول إذا دخل المسجد: ٧١٣. عن أبي حُمَيْد أو أبي أُسَيْد.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب تحريم الكلام في الصلاة، برقم (٥٣٧).

يسبح الله ثلاثًا وثلاثين، ويحمد ثلاثًا وثلاثين، ويكبر ثلاثًا وثلاثين، ثم يتم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير[1].

كان ﷺ يكثر من سيد الاستغفار بقوله: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، اغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ**»[2].

كان يحصِّن نفسه وأصحابه ويُرشد أمته إلى ذلك **الحصن**.

قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه: قد احترقت دارك -وكانت النار قد وقعت في محلته- فقال: مَا كَانَ اللهُ لِيَفْعَلَ ذلك، فقيل له ذلك ثلاثًا وهو يقول: مَا كَانَ اللهُ لِيَفْعَلَ ذلك. ثم أتاه آت فقال: يا أبا الدَّرْدَاءِ إِنَّ النَّار دَنَتْ مِنْ دَارِكِ طُفِئَتْ، قال: قَدْ عَلِمْتُ ذلك، فقيل له: ما ندري أي قوليك أعجب؟ قال: إني سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ قَالَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ فَقَدْ قُلْتُهُنَّ، فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَضُرُّنِي شَيْءٌ، أَوْ لَنْ أُضَرَّ -وهي-: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَظِيمِ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ**

---

(١) كما ورد في الحديث المتفق عليه، أخرجه البخاري، برقم (٨٠٧)، ومسلم، برقم (٥٧٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات- باب أفضل الاستغفار، برقم (٥٩٤٧) عن شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رضي الله عنه مرفوعًا...

نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[1] ولو أراد الله ﷻ به مصيبة ما وفقه إلىٰ هذه الكلمات، وهو مجرَّب.

أيها المسلمون انظروا إلىٰ تلك الكنوز التي تركها لنا رسول الله ﷺ تحفظنا من شرور الكون، ومن تلك المكدرات الخِلقية التي أرادها الله ﷻ لنا -ولا يكون في كونه إلا ما أراد- هي كلمات إنما هي أسباب ينبغي علينا أن نكون علىٰ يقين منها وأن نفعلها علىٰ هذا اليقين؛ حتىٰ نكون مؤمنين بالله حقًّا.. ذاكرين له ذِكْرًا خَالِصًا.

وكان رسول الله ﷺ إذا أتىٰ المساء قال: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ»[2]، وهكذا في كل حركة، حتىٰ ألَّف العلماء كتبًا مفردة في الأذكار فألَّف ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ «الكلم الطيب» اختصر فيه تلك الأذكار، أذكار المساء والصباح حتىٰ تنظر فيه وتشكر الله ﷻ علىٰ كل حال، وألف ابن القيم «الوابل الصيب من الكلم الطيب»، وألف الإمام النووي كتاب «الأذكار»، وألف الشوكاني «تحفة الذاكرين»، وألف ابن الجزري «الحصن الحصين» وما زال المؤلفون يؤلفون الرسائل من كلام رسول الله ﷺ من أذكار الصباح والمساء حتىٰ يومنا هذا..؛ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥]؟!

لا بد أن تغير حياتك أيها المسلم وأن تحافظ علىٰ الذكر، فالذكر ينور القلوب ويغفر الذنوب ويستر العيوب ويؤكد علاقتك مع الله، فكن من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

---

(١) قصة أبي الدرداء أخرجها ابن السني في عمل اليوم والليلة، والطبراني في الدعاء، والخرائطي في مكارم الأخلاق.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل، برقم (٢٧٢٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال العلماء: إذا فَقَدَ المسلمُ المربي المرشدَ فإن مرشده الأعظم هو رسول الله ﷺ فيُكثر من الصلاة عليه ولا يَقِلُّ ذلك عن ألف مرة في اليوم والليلة، وهو أمر يسير بسيط جليل القدر كما وصف رسول الله ﷺ فقال: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»[1]، كلمتان.. مثل هاتين.. هما خفيفتان على اللسان، لكنهما ثقيلتان في الميزان، من رحمة الله بعباده.

وعن أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ**». قَالَ أُبَيّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ فَقَالَ: «**مَا شِئْتَ**». قَالَ قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قَالَ قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا. قَالَ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»[2].

فَالْهَجُوا بالصلاة على رسول الله ﷺ ليل نهار، واستغفروا الله على الأقل في اليوم مائة مرة، أسوة بالحبيب المصطفى الذي لم يفتر، وإنما استغفر ربه من غين الأنوار التي أغلقت باب الخلق، وإن كان بابُ الحق عنده مفتوحًا دائمًا، استغفروا ربكم توبوا إليه، واذكروه في كل وقت وحين، وادعوه لعلها أن تكون ساعة إجابة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات- باب فضل التسبيح برقم (٦٠٤٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ...

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع- باب في صفة أواني الحوض، برقم (٢٤٥٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك: تفسير سورة الأحزاب، برقم (٣٥٧٨).

أما بعد:

فيقول رسول الله ﷺ: «خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»[1] أكثروا من **كلمة التوحيد** فإنها رمز وعلامة.. رمز وعلامة على قضية كبرى يحياها المؤمن في هذا الكون.. رمز وعلامة تفرِق الحق من الباطل، وتفرِق المؤمن من الكافر، وتفرق الظلمات من النور.

(**لا إله إلا الله**) كلمة قد ألفناها، وإنما فيها ملخص كل شيء! فيها الرد على كل شيء؛ الرد على أبالسة الجن والإنس.. على الطغيان.. على الاستبداد.. على المكائد التي يريد أولئك الشياطين أن نعيش فيها.. على كل الفِرَق والملل والنِّحَل والتحريف والتخريف الذي تعيشه البشرية منذ قرون.

(**لا إله إلا الله**) إذا انضم إليها (**محمد رسول الله**) فقد ملكت الحقيقة كلها وعرفت قيمتها؛ فاشكر الله عليها كل وقت وحين.

فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، وأعنا على ذِكْرك وشُكرك وحُسْن عبادتك.

(١) وأخرجه الترمذي: كتاب الدعوات- باب دعاء يوم عرفة، برقم (٣٥٨٥) وقال: غريب. ومالك في الموطأ: كتاب القرآن- ما جاء في الدعاء، برقم (٥٠٠).

سجودٌ وتسبيحٌ
في الْحَرَكَةِ والسُّكونِ

من أفكار الخطبة:

١- كل ما في الكون خاضع لأمر مولاه؛ حتى الحركة والسكون.

٢- مقارنة بين حضارتين.

٣- حتى ينسجم الإنسان مع أجزاء الكون.

سجودٌ وتسبيحٌ في الحَرَكَةِ والسُّكونِ

أما بعد:

فالسكون والحركة في هذا الكون هي لله رب العالمين، فالله ﷻ أخرج هذا الكون من العدم إلىٰ الوجود، ومن السكون إلىٰ الحركة، فعبَد السكونُ ربه وعبدت الحركة ربها، وهذا الإنسان هو مَن حمل الأمانة لتكون حركته بأمر ربه وسكونه كذلك، فخاطبه ربه أن (افعل)، و(لا تفعل).

هذا هو الفارق بين المسلم وبين غيره إلىٰ يوم الدين؛ أن المسلم جعل **الله** هو دائرة وجوده، وجعل **الله** هو مركز انطلاقه، وجعل **الله** ﷻ هو الذي يحدد له حياته، وهو الذي يحدد له مماته، وهو الذي يرسم له الطريق.

أما الآخرون فقد جعلوا الإنسان هو الذي يفعل ذلك، فضلُّوا وأضلُّوا، ومِن أجل ذلك فإنهم لا يفهمون القرآن ولا يريدون أن يفهموا..

وإذا تأملنا الخطاب القرآني للإنسان وعن الإنسان نفهم القضية..

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين: ٤-٦]، غير منقطع.. مستمر.

لقد كرم الله بني آدم إلا أنه حين يخاطب ذلك الإنسان الذي تاه عن مناط التكريم، وسبيل الفطرة القويم.. فنجد أن القرآن يخاطبه بأسوأ ما فيه، وكأنه يسلب عنه هذه المكانة وهذا التكريم حين لا يرىٰ في الكون إلا نفسه،

هذا الذي يتخذ هواه إلهًا له ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

أما المسلم فيرىٰ الكون كله ساجدًا مسبحًا لله، والسجود كما قلنا سكون لرب العالمين ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج: ١٨]، هكذا يبين لنا القرآن أن الكون ساجد لرب العالمين، كائنات السماوات التي نعرفها والتي لا نعرفها، وكائنات الأرض التي نراها والتي لا نراها:

ساكنة لرب العالمين.. ساجدة لرب العالمين..

وحين يلتفت الإنسان لسر تكريمه علىٰ المخلوقات، فإنه ليس فقط يكون منسجمًا مع الكون بل يكون هذا الكون هو الذي ينسجم معه، قال الله تعالىٰ فيمن جعله الله خليفة في الأرض، ولم يحكِّم الهوىٰ في نفسه، ولا حَكم بالهوىٰ فيما استخلفه الله فيه: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]. وكان إذا سبَّح داود سبحت معه الجبال في رسوخها وسكونها، والطير في خِفتها وحركتها؛ ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١].

فيا أيها المسلم إنك إذا اتسقت مع الكون، وسرت في تياره إلىٰ الله، اطمئن قلبك، واطمأنت نفسك، وارتاح عقلك، وتلألأت الأنوار بين جنبيك، وعشت سعيدًا في الدنيا، وانتقلت بعد ذلك إلىٰ ربك ليدخلك الجنة.. هذه هي قضية الحياة، هذا الذي من أجله قاتل المسلمون، حتىٰ تصل كلمة الله الأخيرة للخلق.. إلىٰ العالمين.. إلىٰ أمة الدعوة.. إلىٰ كل الأشخاص في كل زمان وفي كل مكان وعلىٰ أي حال، فمنهم من استجاب، ومنهم من أَبَىٰ وتولَّىٰ وكفر، ومن استجاب فهو من أمة الإجابة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ

تَقۡوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴾ [التين: ٤-٦]، غير منقطع.. مستمر...

يدَّعون أن حضارة الإسلام مبنية على السكون، وأن حضارة الغرب مبنية على الحركة، وهذا هو الفرق بين الحضارتين، ويبنون على ذلك أن حضارة الغرب -وقد أخذوا بسبب من القوة في عالمنا اليوم- خير من حضارة الإسلام!

والأمر ليس كذلك، فحضارة الإسلام مبنية على السكون والحركة معًا، الحركة المنسجمة.. الحركة التي يتحركها الإنسان في إطار الله ﷻ؛ في إطار أوامر الله ﷻ، في إطار دين الله، حركة واعية.. حركة متَّسقة وليست حركة متفلتة وليست حركة عشوائية، إنما الفارق ما ذكرناه أن هذه حضارة تستند إلى الله الخالق وكلماته، وأن غيرها حضارة يدعيها المخلوق مستندا إلى حوله وقوته، فتاه عن حقيقة أنه «لاحول ولا قوة إلا بالله» في دروب الحيرة والفشل، وبقيت الحقيقة، فالحقائق ثابتة؛ والإيمان بها متحقق؛ لأنه الصدق الذي أقره الوحي والوجود. والوحي والوجود لله رب العالمين ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهيا بنا مع كتاب الله ﷻ نتأمل تلك الحركة -حيث سمَّى- في مادة (سبح)[1] ونسب إليها تلك الأفعال العجيبة الغريبة التي تُفهمنا ما نقول؛ فَ(سَبَحَ): تحرك.. ونطلقها على من عام في الماء لأنه ينتقل من مكان إلى مكان، والله ﷻ يصف الكون بأنه مُسَبِّح له كما وصفه بأنه ساجد له، والكون في تسبيحه لله لرب العالمين يَسْبَحُ ويتحرك حركة مادية وحركة عبادية،

(١) سبح: السَّبْحُ والسِّباحة: العَوْمُ. سَبَحَ بالنهر وفيه يَسْبَحُ، وسَبْحُ الفَرَسِ: جَرْيُه. وفرس سَبُوحٌ وسابحٌ: يَسْبَحُ بيديه في سيره. والسَّوابحُ: الخيل لأنها تَسْبَح، وهي صفة غالبة. لسان العرب: سبح.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، أي يتحركون، يَسْبَحُون بدقة.. يسبحون بنظام.. يسبحون بأمر الله، فلا عشوائية في الكون، لكن الله حكيمٌ كما أنه عزيز، هو القوي وهو المدبر ولذلك ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]، انظر إلىٰ إعجاز القرآن.. انظر إلىٰ ذلك الفكر العميق الذي يجلس الإنسان كلما تأمله، كلما غُيرت الأفكار، وتناسقت بعضها مع بعض فلا نجد فيه تناقضًا ولا نجد فيه اضطرابًا، كله يسير في اتجاه واحد فهو من عند رب العالمين، وهو معجزة ورسالة إلىٰ يوم الدين ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾.. نعم هذا تسبيح عبادة.. هذه حركة متزنة لله وبالله رب العالمين ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، لأنه حليم علينا وصبور أي: أن لا نفقه ما يقول، وهو غفور لنا حيث لم يتبادر إلىٰ أذهاننا عظمة مولانا ﷻ فغفر لنا، وﷻ أشد حلمًا علينا مما نتصور ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٤-٤٨]، انظر إلىٰ خلط الأوراق.. انظر إلىٰ هذا الهُراء الذي لا يفيد؛ بدلاً من أن يفقهوا تسبيح الكون لله، وأن التسبيح والسباحة علىٰ أمر واحد، وأن الحركة ينبغي أن تكون لله، ولذلك ينبغي أن تكون حركتنا لله رب العالمين كما أن سكوننا يجب أن يكون لله.. بدلاً من أن يفقهوا هذا ويرتبوا سلوكهم

عليه.. بدلاً من أن يبنوا حضارتهم على هذا! أخذوا يتكلمون هذا الكلام السخيف الفارغ ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٧-٤٨]، وهذا هو شأن الإنسان اليوم.. لأنه اتخذ من نفسه وهواه آلهة من دون الله ﷻ، وسعى مفسدًا للكون فخالف الحقيقة، وخالف تسبيح الكون لربه.

انظر إلى كلمة (سبحان الله) وأنها من مادة سبح، وأن سبحان: معناها ننزه الله ﷻ عن السكون وعن الحركة، ننزه الله ﷻ عن الظلم.. ننزه الله ﷻ عن النقص..

نعم كلمة واحدة مبناها وأساسها هو الحركة.. الحركة عندما تصدر منك لله رب العالمين منزهًا له عن كل نقص، منزهًا له عن كل افتراء، منزهًا له عن كل تأخر وتخلف.

انظر إلى أولئك الظالمين وما يعتقدون في ربهم.. وانظر إلى حقيقة الأكوان التي تسبح من حولنا لله رب العالمين، والتي ينبغي أن نسبح معها إجلالاً لربنا، وأن نجعل سكوننا وحركتنا له ﷻ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]، اجعل سكونك وحركتك لله رب العالمين.. بيّن هذا لمن خلفك.

أيها المسلمون إن البشرية في أشد الحاجة إلى المسلمين، ولا أريد أن أقول إن بعض المسلمين أصبحوا عبئًا على الإسلام وحائلاً دون وصول كلمة الله ﷻ إلى الخلق بما يفعل بعضهم من حماقات، وبما تعوَّد عليه أكثر المسلمين من الركود وعدم التفكر في ملكوت الله وفي كتابه، وبما عليه أكثر المسلمين من التفسق والخروج عن دين الله، وعن سنة رسول الله ﷺ للدرجة التي أتخيل معها أنهم يبحثون عن سنن رسول الله لمخالفتها لا لاتباعها...!

أمرنا رسول الله ﷺ بكل خير نُعَزُّ به في الدنيا ونكرم به في الآخرة، ونهانا عن كل شر، ولكن خالف المسلمون أوامر نبيهم، وتركوا القرآن وراءهم ظهريا، حتى شكى إلى رسول الله ﷺ حاله.. ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وأعنا على حسن عبادتك يا رب العالمين.. وادعوا ربكم فإنه سميع مجيب.

التِمَاسُ الهُدَى
مِن خُطْبَةِ الحَاجَةِ

من أفكار الخطبة:

١- حقيقة التقوى.

٢- احذر من تحول العبادات إلى عادات.

٣- ضرورة الورد القرآني.

التِمَاسُ الهُدَى مِن خُطْبَةِ الحَاجَةِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ونبيه وصفيه وحبيبه، بلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة ونصح للأمة وجاهد في سبيل الله حتىٰ أتاه اليقين.

اللهم صل وسلم علىٰ سيدنا محمد في الأولين، وصل وسلم علىٰ سيدنا محمد في الآخرين، وصل وسلم علىٰ سيدنا محمد في العالمين، وصل وسلم علىٰ سيدنا محمد في كل وقت وحين، وعلىٰ آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، وأتباعه الأبرار إلىٰ يوم الدين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد.. فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن خير الهدي هدي سيدنا محمد رسول الله، وإن شر الأمور محدثاتها؛ فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وبعد؛ فها هو رجب الفرد الأصم الأصب الحرام يهيئنا لرمضان، ومعنا في خطبة الحاجة التي نستهل بها كلامنا في يوم الجمعة تأسيًا برسول الله ﷺ والتي يرويها عنه عبد الله بن مسعود وكان يقول: «**كَانَ يُعَلِّمُنَا خُطْبَةَ الحَاجَةِ كَمَا يُعَلِّمُنَا القُرْآنَ**»[1] أي أنه كان يعيدها عليهم ﷺ- حتى يحفظوها..

وفيها يقول رسول الله ﷺ ويتلو علينا من سورة آل عمران: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وهي آية تعد أعظم آية في القرآن من حيث العمل.. كيف لا نموت إلا ونحن على الإسلام ونحن لا ندري متى نموت؟ فهذا معناه أن الإنسان يظل في ذكر الله ﷻ على الدوام حتى إذا ما جاءه الموت وجده على الإسلام، وكأن الآية تطالبنا

---

(١) أخرجه أبو داود: ٢/٢٣٨، برقم ٢١١٨، والترمذي: ٣/٤١٣ برقم ١١٠٥، وقال: حسن. والنسائي: ٣/١٠٤ برقم ١٤٠٤، وابن ماجه: ١/٦٠٩ برقم ١٨٩٢، والحاكم: ٢/١٩٩ برقم ٢٧٤٤ عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا، ونص خطبة الحاجة كما هو لفظ الترمذي: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، فَمَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». وَيَقْرَأُ ثَلاَثَ آيَاتٍ. ....﴿ اتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١]، ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:٧٠].

والجزء الأول من الحديث أخرجه مسلم من رواية ابن عباس رضي الله عنهما: الجمعة- تخفيف الصلاة والخطبة: أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ. فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ -قَالَ- فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعْدُ**». قَالَ: فَقَالَ أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاَءِ. فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

ألا نغفل عنه ﷻ طرفة عين ولا أقل من ذلك، فتكون بذلك أعظم آية من حيث العمل، نسأل الله أن يخفف عنا لقصورنا وتقصيرنا وما جُبلنا عليه من نسيان وغفلة، وندعو الله أن يغفر لنا هذه الغفلة التي تحجبنا عنه ﷻ.

وإذا ما تأملنا في هذه الآية، وجدناها وكأنها تأمرنا بأن نحول العادات إلىٰ عبادات، والحاصل في حياتنا أن الإنسان إذا ما أكثر من عمل ما أن يألف هذا العمل فيتطرق هذا إلىٰ أمور العبادة فتتحول عنده إلىٰ عادة..؛ فتراه يصلي وينسىٰ في صلاته، ويذكر بلسانه وذهنه شارد في أمور أخرىٰ، لأن العبادة تحولت عنده إلىٰ عادة.

وتحوُّل العبادة إلىٰ عادة أول الفساد في الأمم؛ لأن العبادة حينئذ لا تؤدي وظيفتها التي أرادها الله ﷻ لها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فنرىٰ المصلي لا تنهاه صلاته لا عن فحشاء ولا عن منكر؛ لهذا السبب.

وهنا وفي هذه الآية العظيمة يأمرنا ربنا ﷻ بمقاومة أنفسنا، لا في أن نؤدي العبادة علىٰ وجهها وحسب بل أيضًا أن نحول العادات إلىٰ عبادات.

وتميز السلف الصالح والصحابة الكرام بأنهم استطاعوا أن يحولوا العادات إلىٰ عبادات، وذلك لما قدموا في أنفسهم قولَ الرسول المصطفىٰ والحبيب المجتبىٰ ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»[1] فجعلوا نياتهم جميعًا لله ﷻ في حلهم وترحالهم.. في قولهم وسكوتهم.. في تركهم وفعلهم حتىٰ صاروا عبادًا ربانيين إذا ما مدوا أيديهم إلىٰ السماء:

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري: كتاب بدء الوحي- باب كيف كان بدء الوحي: ٦/٢٥٥١، رقم ٦٥٥٣، ومسلم: كتاب الإمارة- باب العمل بالنية: ٣/١٥١٥، برقم ١٩٠٧ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(يا رب) استجاب الله لهم، فهل يمكن أن نهيئ أنفسنا للربانية، وأن نتقي الله حق تقاته، وأن ننقل أنفسنا بإذنه من دائرة سخطه إلىٰ دائرة رضاه، وأن نحول عباداتنا إلىٰ إخلاص لرب العالمين، وأن ننقل عاداتنا إلىٰ دائرة العبادة له ﷻ وحده؟!

إن ذلك يحتاج إلىٰ قرار منك أيها المسلم.. أن تبيع نفسك لله، ويحتاج إلىٰ قرار منك أن تجعل الدنيا في يدك وأن تخرجها من قلبك، ويحتاج إلىٰ قرار منك أن تبدأ صفحة جديدة مع رب العالمين، ويحتاج إلىٰ قرار منك بالتوبة كما ذكرنا ذلك في الأسبوع الماضي، ويحتاج قرارًا منك بأن تقلد رسول الله ﷺ وأن تجعله الأسوة الحسنة في حياتك.

برنامج واضح ويسير علىٰ من يسره الله عليه، والله ﷻ لا يريد ظلمًا للعالمين كما كتب ذلك علىٰ نفسه وجعل رحمته تسبق غضبه، والله ﷻ أمرنا ووجهنا وأرشدنا ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣]، واللغو منه مباح ومنه مكروه ومنه حرام، ولكن المؤمن قد أعرض عن اللغو كله، ونقل ما يفعله من أكل وشرب ولبس وسعي وذهاب ومجيء وحوَّل ذلك كله -بالنية الصالحة- لله رب العالمين.

هَلّا دربنا أنفسنا فيما تبقىٰ لنا من زمن حتىٰ نستقبل نفحات الله في أيام دهرنا والله عنا راض، هَلّا فعلنا ذلك فنجد في أنفسنا حلاوة الإيمان وحلاوة العبادة وحلاوة الذكر.. هَلّا فعلنا ذلك، ومن جرب حلاوة الإيمان فإنه لا يتركها أبدًا، وهكذا شأن الإيمان إذا دخل القلب وداعبت حلاوته القلوب فإنه يزداد ولا ينقص فالحمد لله رب العالمين، فهلا فعلنا ذلك في أنفسنا حتىٰ نغير من سلوكنا وحتىٰ نغير من عقائدنا وأحوالنا مع أنفسنا لله، وهَلّا فعلنا ذلك كله ابتغاء وجه الله.

أيها المؤمنون.. فلنجعل لأنفسنا حصة من القرآن كل يوم قلَّت أو كثرت، ولا تقطع نفسك عن كلام الله...

وبعد ذلك يقول ربنا ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ وحبل الله هو القرآن ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٣-١٠٨].

أمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ

من أفكار الخطبة:

١- الباب الذي لا يغلق ليلاً أو نهارًا. وشروط إجابة الدعاء.

٢- من ضيق الدنيا إلى ساحة الدعاء.

أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

أما بعد:

فقد اشتد على المسلمين أمر الدنيا، وتكالبت عليهم الأمم من حيث تدرون، ونتذكر الأندلس؛ حين كانوا إمارات في غرناطة وقرطبة وقسطنطينية وإشبيلية، والمسلمون تتحد أسماؤهم، وتختلف قلوبهم، وفشت فيهم الأهواء، وآثروا الدنيا على ما عند الله، حتى مكنوا الكفار منهم، يذكرنا هذا الحال ويوقفنا موقف المضطر الذي ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وعلم أن لا ملجأ من الله إلا إليه؛ ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]؛ إننا في حاجة إلى الله ﷻ أن يمدنا بما يخرجنا من تلك الورطة..

ونتأمل سنة النبي المجتبى والحبيب المصطفى، فنجد فيما أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى اللهِ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ فَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ ثُمَّ لْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ لْيُثْنِ عَلَى اللهِ وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلاَمَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، لاَ تَدَعْ لِي ذَنْبًا إِلاَّ غَفَرْتَهُ، وَلاَ هَمًّا إِلاَّ فَرَّجْتَهُ،

وَلاَ حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا إِلاَّ قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[1].

«مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَة إِلىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَوْ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ» وفي رواية: «أَوْ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»[2]، وها نحن نحتاج إلىٰ الله، ونحتاج أن نتوجه بالكلام إلىٰ أنفسنا، وإلىٰ كل واحد من بني آدم.. إلىٰ مجموعة تجتمع.. تفترق قلوبهم وتتحد أسماؤهم، ويعلنون كلهم الإسلام..

«مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَىٰ اللهِ أَوْ حَاجَة إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ ثُمَّ لْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ لْيُثْنِ عَلَىٰ اللهِ» يعني بما هو أهله؛ كأن يقول: الحمد لله حمدًا كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلًا ولا إله إلا الله، «ثُمَّ ليصلِّ علىٰ النبي ﷺ ثُمَّ ليقُلْ: لا إله إلا الله الحَليمُ الكَريمُ. سُبْحَانَ اللهِ ربِّ العَرْشِ العَظِيم. الحَمدُ للهِ ربِّ العالَمين، اللهُم أسألك مُوجِبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم لا تدع لي ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا حاجة لك فيها رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين ثم ليُسَمِّ حاجته».

افعلوها أيها المسلمون؛ قال الفقهاء من أهل المذاهب: ويستحسن أن يقنت في الثانية منها قنوت الفجر، فهي كصلاة الاستسقاء، نطلب فيها من الله فك الكرب، وإزالة الهم والغم، فنطلب فيها من الله حينما نسمي حاجتنا، أن يؤلف القلوب، وأن يوحد الكلمة علىٰ عمل يكون فيه نصرة الله ورسوله،

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الصلاة- ماجاء في صلاة الحاجة: ٤٤١، وقال: غريب، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها- صلاة الحاجة: ١٣٧٤، عن عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه، والحاكم -مختصرًا- في المستدرك: الدعاء والتكبير والتهليل: ١٩٢٥ عن ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه. وذكره المنذري في الترغيب. قال الحافظ المنذري: وفائد متروك روىٰ عنه الثقات، وقال ابن عدي: مع ضعفه يكتب حديثه. اهـ.

(٢) هي رواية ابن ماجه. انظر السابق.

وتكون فيه عزة المؤمنين والإسلام، ندعو الله وهو الرحمن الذي بين أصبعين من أصابعه قلوب العباد، أن يثبت القلوب علىٰ طاعته؛ فإن ذلك عليه يسير، وما ذلك علىٰ الله بعزيز..

يصليها أحدنا في جوف الليل عسىٰ الله أن يستجيب له، ويمكن أن تصلَّىٰ جماعة، فكل ما صح منفردًا يجوز أن تصليه جماعة، ويمكن أن ندعو فرادىٰ -في بيوتنا أو في مساجدنا- وجماعات بدعاء الحاجة ثم نسمي حاجتنا.

نقول فيها: اللهم يا ربنا وحد قلوبنا علىٰ الإسلام، ونضرع إليه أن يزيل سخيمة فؤادنا والغل من قلوبنا علىٰ الذين آمنوا، ويشغلنا بما فيه صلاح أمرنا ولا يشغلنا عنه، ووحِّد اللهم قلوب أولي الأمر منا علىٰ اتخاذ القرار السليم الذي يخرج المسلمين من ورطاتهم، وعلىٰ العمل لصالح الأمة، واهدهم ياربنا للتي هي أقوم في العمل، والتي هي أحسن في القول، وجنبنا جميعا مداخل الفرقة والنزاع والنزغ فيما بيننا، وحِّد القلوب يا ربنا لما يخرجنا من الظلمات إلىٰ النور، وانزع من القلوب مخافة عدوك وعدونا، والميل لهم، وانزع يا رب من القلوب الوهن، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، حبب إلينا لقاءك، وهون علينا أمر الدنيا بما فيها بمن فيها... اللهم يا ربنا وأرشد أصحاب القرار فينا وأولي الأمر منا لما فيه مصلحتهم ومصلحة شعوبهم ومصلحة أمتهم وأمة المسلمين كافة...

قل ما تستطيع من قلبك ومن وجدانك وأنت تبتهل إلىٰ الله، فلا حول ولا قوة بنا.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

من شروط الاستجابة أن نشرع في اتخاذ الأسباب إليها، ولكن ما تلك الأسباب التي نتخذها ونحن في فتنة لا يزال الحليم فيها حيرانًا؟! وليس في أيدينا شيء، ولم نشارك في هذه البلاوي والمصائب التي تنزل علينا، فليس لنا

إلا أن نلجأ إلىٰ الله الذي لا ملجأ منه إلا إليه، ونتخذ من كلام سيدنا رسول الله ﷺ فرجًا قريبًا وبابًا إلىٰ الله ومخرجًا، ونقوم بها عسىٰ الله أن يستجيب، وعسىٰ أن ينزل علىٰ قلوبنا البرد والسلام، وعسىٰ أن يوفقنا إلىٰ صالح الأعمال، وعسىٰ أن ينقلنا من دائرة سخطه إلىٰ دائرة رضاه.

رسول الله ﷺ صادق مصدوق، وإذا صح الحديث عنه فإنه وسيلتك إلىٰ ربك، فينبغي عليك أيها المسلم أن تقوم بصلاة الحاجة فورًا ومن اليوم، وفي كل يوم، وكررها عسىٰ الله أن يستجيب دعاءنا، وأن يستجيب حاجتنا، ويحرك الهمم فيما فيه صلاح أمرنا..؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل.

أيها الناس أمر عظيم ولا قِبَلَ لنا به، ولم يبق لنا إلا الدعاء نجتمع فيه وعليه؛ فلنَلُذ بالدعاء عسىٰ أن تُفتح لنا أبوابُ السماء.

والدعاء.. من شرط قبوله العمل الصالح، وشرط قبوله الأكل الحلال، وشرط قبوله الإخلاص «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»(١). حتىٰ لو فقدنا شروط قبول الدعاء فهناك دعاء لا يتخلف أبدًا.. وهو دعاء المضطر.. ونحن رغم تقصيرنا ليس لنا إلا الله فنلجأ إليه.. وليس لنا إلا الله فيكشف عنا السوء والضر والبلاء..

ولا بد أن نلجأ إلىٰ الله، فالله يقبل التوبة عن عباده، والله يقبل المنيبين إليه، والله ﷻ يغفر الحوبة والعثرة، وهو واسع كريم، وهكذا في دعاء رسول الله، «لا إله إلا الله الكريم الحليم» فنلجأ إليه باسمه الحليم الكريم، أن يتجاوز عن

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري: كتاب بدء الوحي- باب كيف كان بدء الوحي: ٦/٢٥٥١، رقم ٦٥٥٣، ومسلم: كتاب الإمارة- باب العمل بالنية: ٣/١٥١٥، برقم ١٩٠٧ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حالنا، وأن يُشَفِّع نبينا فينا، ونتوسل إليه به، وقد علَّم رسول الله ﷺ أحد الصحابة أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يقول: «**اللّهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ وَأتَوَجَّهُ إلَيْكَ بِنَبِيّكَ محمدٍ نَبِيّ الرَّحْمَةِ يا محمد إنّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إلىٰ رَبّي في حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَىٰ لي، اللّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فيَّ**»[1].

وقصة الحديث كانت علىٰ خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن رجلاً كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف، فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد، فصل فيه ركعتين، ثم قل: «اللَّهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إنّي قَدْ أتوَجَّه بِكَ إلَىٰ رَبّي فِي حَاجَتِي- وتذكر حاجتكَ». ورُح حتىٰ أروح[2] معك. فانطلق الرجل فصنع ما قاله له، ثم أتىٰ باب عثمان بن عفان فجاء البواب، حتىٰ أخذ بيده، فأدخله علىٰ عثمان بن عفان، وأجلسه معه علىٰ الطنفسة[3]، وقال له: ما حاجتك ؟ فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال: ما ذكرت حاجتك حتىٰ كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فائتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرًا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليَّ حتىٰ كَلَّمْتَهُ فيَّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل ضرير... ثم ذكر الحديث[4].

---

(١) أخرجه الترمذي: ٣٧٢١، وقال: حسن صحيح غريب، كما صححه ابن خزيمة- صلاة الترغيب والترهيب: ١٢١٩، والحاكم في المستدرك- دعاء رد البصر: ١٢١٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وأحمد في مسنده: ١٦٩١٤.

(٢) هذه اللفظة من العامي الفصيح. انظر: لسان العرب: ٦١/١، ط. دار صادر- بيروت.

(٣) هي البِساط الذي له خَمْل رقيق. لسان العرب: طنفس.

(٤) قال العلامة الحافظ السيد عبد الله بن الصديق الغماري: «هذه القصة رواها البيهقي في =

إذا لم نكن نحن أهل للاستجابة والقبول فلنتشفع برسوله إليه ﷺ رب السماوات والأرض وما بينهما، إن لم يفعل ذلك من أجلنا ولصالحينا أن قد فقدنا الصالحين، فليفعله لأجل النبي المصطفىٰ والحبيب المجتبىٰ ﷺ، فقد ضاقت علينا الأرض بما رحبت.

عباد الله.. عودوا إلىٰ الله وتذكروا قضية الدنيا وأنها إلىٰ فناء وأنها إلىٰ زوال، وأن الموت آت آت، فلا ترض بحياة الأنعام ولا بموت الشياه.

عباد الله.. أعداؤنا يريدون أن يفرضوا علينا الموت من كل مكان و﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة: ١٠] حتىٰ إنهم يخيروننا بين الموت والموت.. فماذا بقي بعد حتىٰ نفيق وندع الوهن من قلوبنا!!

وأنا ناصح لكم أخرجوا الدنيا من قلوبكم، فالداء العضال فينا هو الوهن.. ففسدت الذمم واستنامت الهمم، والخير فينا كامن.. ومنا بارز.. بإذن الله..

تمسكوا بالله وحده، ثقوا في الله وحده، ولا تأملوا في شيء إلا وجهه، ولا تطلبوا من أحد سواه.

=

دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان، حدثنا أحمد بن شبيب بن سعيد، ثنا أبي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه... فذكر القصة بتمامها، ثم قال: ويعقوب بن سفيان هو الفسوي الحافظ الإمام الثقة، بل هو فوق الثقة، وهذا إسناد صحيح، فالقصة صحيحة جدًا، وقد وافق علىٰ تصحيحها أيضًا الحافظ المنذري في الترغيب: ج٣ ص٦٠٦، والحافظ الهيثمي مجمع الزوائد: ج٣ ص٣٧٩ «والقصة تدل علىٰ ما يدل عليه الحديث، مع إغلاق الباب علىٰ من حاول أن يزعم أن الحديث خاص بحياة النبي ﷺ -ولا مخصص كما ذكرنا- ولكن ذلك يشد العضد، ويؤيد الصواب إن شاء الله تعالىٰ.

عباد الله.. ينبغي عليكم أن تعودوا إلى الله؛ بالصلاة والصيام والزكاة، بالود، بالجيرة الحسنة، بالأخلاق الطيبة، بالدعوة إلى الله...

اخلعوا أنفسكم تمامًا من الذنوب. هذه أزمة ما كتبها الله علينا إلا من آثامنا وآثام آبائنا وأجدادنا، فإن الله قد صبر على تلك الأمة كثيرًا، ولكن لا نكون كفقراء اليهود لا دنيا ولا دين، ولا دنيا ولا آخرة، لأن معنا كنزًا كبيرًا وهو القرآن، الذي أراد الله لنا أن يكون كتاب هدايتنا، وأن يكون الكلمة الأخيرة للعالمين.

أيها المؤمنون.. صلاة الحاجة مجربة، وإن كانت مجربة في آحاد طلبات وحاجات الخلق فإنك إن فعلتها لأمتك ولإسلامك ودينك فهي أرجى بالقبول، وهي عبادة على كل حال وأنت تلتجئ إلى الله ثق بالاستجابة؛ فإن استجاب فمن فضله، وإن أخر فمن حكمته، وتكون قد نلت أنت أجر العبادة.

اللهم احم دماء المسلمين، وأعراض المسلمين، وأرض المسلمين، واجعل بأس أعدائنا بينهم شديدًا، وأشغلهم بأنفسهم، واجعل الدائرة عليهم، وأخرجنا منهم سالمين..

وألف بين قلوب المؤمنين، وانزع الوهن من قلوبنا، واجعل أحب أيامنا يوم لقائك، وافتح علينا فتوح العارفين بك..

اللهم لجأنا إليك لجوء المضطر، ودعوناك دعاء من علم أن لا ملجأ منك إلا إليك، فلا تعاملنا بما نحن أهله.. وعاملنا بما أنت أهله.. فلا حول ولا قوة إلا بك.. يا أرحم الراحمين.

مَوَاطِنُ قَبُولِ الدُّعَاءِ

من أفكار الخطبة:

١- حال الحاج في المشاعر المقدسة.

٢- البيت الحرام ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٩٧].

٣- لفتة نحو القدس.

مَوَاطِنُ قَبُولِ الدُّعَاءِ

أما بعد:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

يقف الحاج في بيت الله الحرام يلتجئ إلىٰ الله ﷻ ويدعو ربه عند رؤيته للكعبة، واستلامه الحجَرَ الأسود، وطوافهِ بالأركان، وتحت الميزاب[1] -ميزاب الرحمة-، مرورًا بحجر إسماعيل، وعند المُلتزَم، وفي صلاته في مقام إبراهيم.... وعند تَضَلُّعِهِ من زمزم... وفي جميع مشاعره وشعائره وشرائعه... وما من أحدٍ دعا الله في البيت الكريم المشرف إلا استجاب الله له[2].

والإنسان يلتمس الدعاء في الزمان والمكان وعند الأشخاص وعند الأحوال عسىٰ الله ﷻ أن يستجيب له.

---

(١) ميزاب الكعبة هو الجزء المثبت علىٰ سطح الكعبة في الجهة الشمالية، والممتد نحو حجر إسماعيل عليه السلام، والمصرف للمياه المتجمعة علىٰ سطح الكعبة المشرفة عند غسل السطح أو سقوط الأمطار.

(٢) أخرج الحاكم عن محمد بن يزيد أبو هشام: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا مَأْثَمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ دَعْوَتَهُ، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهَا**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**». المستدرك: كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ: ١٨١٦ وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

«اطْلُبُوا الخَيْرَ دَهْرَكُمْ وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ، فَإِنَّ للهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُم ويُؤَمِّن رَوْعَاتِكُم»[1].

والله جل وعلا قد دلّنا على كيفية الدعاء وعلى زمان الدعاء وعلى مكان الدعاء وعلى أولئك الذين يستجيب الله لهم الدعاء وعلى الأحوال التي يستجيب الله عندها الدعاء:

فالله يستجيب الدعاء عند نزول المطر، والله يستجيب الدعاء عند ملاقاة العدو في الجهاد في سبيل الله[2]، والله يستجيب الدعاء من الصالحين الذين انقطعوا بقلبهم لله جل وعلا فكانت الدنيا في أيديهم وخرجت من قلوبهم فخرج منها الوهن[3]..

يستجاب الدعاء في هذه الأماكن الطاهرة المباركة.. لمن أتى مُلَبِّيًا مستجيبًا لنداء ربه.. قاصدًا وجهه.. طالبًا مرضاته.. معلنا بحمده معترفا بنعمته وربوبيته.. راجيًا هدايته.. قيامًا بشكره.. ورغبة في مزيده.. ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٩٧]

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: باب في الرجاء من الله تعالى: ١١٢١ عن عيسى بن موسى رضي الله عنه.

(٢) روى البيهقي في الكبرى: كتاب صلاة الاستسقاء- باب طلب الإجابة عند نزول الغيث: ٦٥٥٥، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ: عِنْدَ الْتِقَاءِ الصُّفُوفِ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَعِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ، وَعِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ».

(٣) عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». رواه أبو داود: الملاحم- تداعي الأمم على الإسلام وأهله: ٤٢٩٧.

آيات في إثر آيات في هذا البيت المحرم المكرم المشرف المعظم..

هو معظَّم ومشرف حتىٰ في اسمه ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧]، فكلمة «**الكعبة**» جاءت من العُلو ومن زيادة الشرف.. «كعبة» منها كلمة الكعب، ونقول في التركيبات العربية: «فلان عالي الكعب» أي أنه زائد في الشرف وفي العلو.

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]، وسميت «بكة» لأنها فيها يبكي التائبون لله، ومن شروط التوبة: الندم والعودة والإيابة والإنابة إلىٰ الله رب العالمين، ولذلك سميت «**بكة**»، وسميت أيضًا «مكة»، وكلمة «**مكة**» أي أنها تمُكُّ الذنوب مكًّا، أي أنها تزيل الذنوب فيخرج الإنسان بعد حجه كيوم ولدته أمه[1] بفرحة جديدة مع الله، ينبغي عليه أن يتذكرها وألا يلوثها بالمعصية، وألا يلوثها بالغفلة والنسيان.

﴿ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]، فهو أول بيت للهداية وليس أول بيتٍ في البنيان، وهو لا يؤرخ -لا يسجِّل تاريخًا- ولكن هو يدل الإنسان إلىٰ طريق الهداية.. هو يدل الإنسان إلىٰ طريق الله.. هو يدل الإنسان إلىٰ كيفية الدعاء، وإلىٰ مكانه، وإلىٰ كيفية الاستجابة، وإلىٰ شروطها...

البيت الحرام أطلق الله عليه **البيت العتيق** ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩]، وكلمة «عتيق» علىٰ وزن فعيل، وتأتي في اللغة العربية للدلالة علىٰ اسم الفاعل والدلالة علىٰ اسم المفعول؛ فهو «مُعتِق» من: أعتق مُعتِق، وهو أيضًا «مُعتَق» فهو مُعتَق من أن يتسلط عليه أحد؛ فلم يتسلط علىٰ البيت جبار

---

(١) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». رواه البخاري: كتاب الحج- باب فضل الحج المبرور: ١٤٤٩.

إلا قصمه الله ﷻ، ودلنا على ذلك مع أبرهة[1] الأشرم الحبشي الذي أراد أن يهدم البيت الحرام فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وصارت سنته ﷻ في خلقه أن من اعتدى على البيت الحرام أُخذ أخذ عزيز مقتدر، ولم يتسلط أحد على مكة من أول إنشائها إلى اليوم والحمد لله رب العالمين.

تسلطوا على الأماكن المقدسة وهدموا بيت المقدس مرات، ولم يستطع أحد من العالمين أن يقارب مكة المكرمة المشرفة.. أن يقارب أم القرى...

﴿فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾ لا يزال الناس يرمون الجمرات بالحصى ملايين المرات عبر العصور والقرون والحصى لا يوجد.. أين ذهب الحصى؟! آيات يراها الناس حسًا، إلا أن الآيات الحسية هذه لا نعوّل عليها ولا نلتفت إليها كبير التفات، إنما نلتفت إلى تلك الأنوار وإلى اكتشاف أسرار الأدب مع الله.

كلما ذهب الإنسان معتمرًا أو حاجًّا إلى بيت الله الحرام لا يعود إلا وقد امتلأ قلبه شوقًا لله.. ما هذا؟! وكيف يكون؟! هذا الشوق الذي يجعله يفكر مرات ومرات في التوبة الصادقة التي تجعله بعيدًا عن مواطن سخط الله، والتي تجعله قريبًا من رضا الرحمن ﷻ..

---

(١) هو أبرهة الحبشي توفي في عام الفيل ٥٧٠، لما حاول أبرهة الحبشي -أو كما يعرف كذلك بأبرهة الأشرم- تدمير الكعبة ليجبر العرب إلى الذهاب إلى كنيسة القليس التي بناها وزينها في اليمن، خرج أبرهة بجيش عظيم ومعه فيلة كبيرة تتقدم الجيش لتدمير الكعبة وعندما اقترب من مكة المكرمة، وجد قطيعا من النوق لعبد المطلب سيد قريش فاخذها غصبًا، فخرج عبدالمطلب، جدّ النبي ﷺ طالبًا منه أن يرد له نوقه ويترك الكعبة وشأنها، فرد أبرهة النوق لعبد المطلب، ولكنه رفض الرجوع عن مكة، وأشهر كلمة لعبد المطلب عندما سأله أبرهة لماذا لا يدافعون عن الكعبة قائلًا: «أما النوق فأنا ربها، أما الكعبة فلها رب يحميها» وعندما رفض أبرهة طلب عبد المطلب أبَت الفيلة التقدمَ نحو مكة وعندها أرسل الله طيورًا أبابيل تحمل معها حجارة مسجلة، على كل حجر اسم الذي سيقتله. وكان ذلك العام هو عام مولد النبي ﷺ.

ماذا نقول في تلك الأيام النفحات، التي ينبغي أن نتعرض فيها لرحمة ربنا ﷻ.. عسىٰ ربنا أن يستجيب دعاءنا وأن يجعلنا من المقبولين عنده، وأن يتوب علينا توبة نصوحًا لا يرانا فيه في مواطن سخطه، ويضعنا في محل نظره ورضاه ورحمته ﷻ.

يجب علينا أن نتحرىٰ هذه الأيام -من كتب الله عليه الحج هذا العام، ومن كتب له الحج من قبل، ومن لم يكتب- يجب علينا أن نتحرىٰ هذا وأن نلجأ إلىٰ الله وأن ندعوا الله ﷻ مستحضرين تلك القبلة التي نلتف حولها جميعًا؛ فتكون دائمة الهداية ودائمة البركة عبر العصور.

أيها المسلمون إن بيت الله الحرام موطن للدعاء؛ فمن منّ الله عليه في هذا العام أن يحج فليلتمس مواطن استجابة الدعاء، وعليه أن يبعد عن الرَّفَث وعن الجدال، وأن يخلص حجه لله، وعليه أن يعود بعد ذلك لعبادة الله وعمارة الأرض..

لا تنسوا في هذه الأيام هنا أو في الأراضي المقدسة لمن كتب الله له الحج في هذا العام؛ لا تنسوا أن تدعوا لأمة محمد ﷺ، أن يؤلف الله بين قلوبنا، وأن يمكّنها في الأرض لتهدي الناس إلىٰ صراط مستقيم، وأن يحرر الله لنا قدسنا من أيدي المغتصبين، وأن يجعل الدائرة علىٰ من أراد بأمة محمدٍ أن يشق عليهم.

ادعوا الله ﷻ للأمة.. تذكروا حال المسلمين.. التجئوا، لعل الله ﷻ أن ينظر إلىٰ قلب واحد منكم قد أخلص الله دينه؛ فيستجيب لنا ويهب مسيئنا لمحسننا، ونكون تحت رحمته، ويقينا عذابه ﷻ.. تذكروا أمتكم، وتذكروا قدسَكم، وتذكروا دعوتكم إلىٰ الله، وتذكروا أن الله ﷻ قد منّ عليكم من غير حول منكم ولا قوة بالهداية للإسلام فاشكروه.. اذكروه.. اتبعوه ﴿فَمَنِ

ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٢].

تيقّن أيها المسلم بوعد الله لك.. ارفع رأسك بإسلامك.. اشكروا الله ﷻ على أن منّ علينا وتفضل.. ادعوا الله ﷻ، ولا تنس مكانك من الدنيا وبصمتك فيها، ولا تنس مكانك في الآخرة، وادعوا ربكم...

الحمد لله حمد الشاكرين الواقفين على بابه حتى يرضى وحتى يفتح علينا فتوح العارفين به، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ونبيه وحبيبه صلى الله عليك وسلم يا عَلَم الهدى وجزاك الله عنا خير ما يجازي نبيًّا عن أمته..؛ اللهم أحينا على سنته وأمتنا على ملته وابعثنا تحت لوائه يوم القيامة يا أرحم الراحمين اللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.....

نَفَحَـاتٌ إلهِـيَّـةٌ
وَمِـنَـحٌ صَمَدَانِيَّةٌ

من أفكار الخطبة:

١- أخفى الله ﷻ سبعًا في سبع.

٢- ما هو الاسم الأعظم من بين أسماء الله تعالى.

٣- احذر أن يكون حظك الحرمان.

نَفَحَاتٌ إلهِيَّةٌ وَمِنَحٌ صَمَدَانِيَّةٌ

أما بعد:

فإن الله ﷻ قد خلقنا لعبادته، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذا تعبير يسمىٰ في العربية بالقصر والحصر، فالله ﷻ ما خلقنا إلا لعبادته، ومن أجل أن نتشوف إلىٰ العبادة فنأتمر بأوامره ﷻ في كل وقت وحين، وننتهي عن نواهيه في كل وقت وحين، فقد حذرنا من النار ووعدنا الجنة.

ومن أجل ذلك أيضًا فإن الله ﷻ قد أخفىٰ سبعة أشياء في سبعة حتىٰ يتشوف المؤمن إلىٰ عبادة ربه، وحتىٰ ينتهي المؤمن عن نواهي ربه كلها: سبحانه وتعالىٰ أخفىٰ ساعة الإجابة في يوم الجمعة في ساعات نهارها، وأخفىٰ ساعة الإجابة في الثلث الأخير في ساعاته، وأخفىٰ الصلاة الوسطىٰ في الصلوات المكتوبة، وأخفىٰ اسم الله الأعظم في أسمائه الحسنىٰ، وأخفىٰ السبع المثاني في القرآن العظيم، وأخفىٰ ﷻ الكبائر في الذنوب حتىٰ ننتهي منها كلها، أخفىٰ الله ﷻ ذلك كما أخفىٰ ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان تشويفًا لنا وحثًّا بأن نقوم بذلك كله في كل وقت، وأن تنتهي عن هذا كله في كل وقت وحاول المؤمنون باهتمام في عبادتهم لله رب العالمين أن يلتمسوا تلك النفحات الربانية حتىٰ يقفوا أمام قول النبي ﷺ: «**اطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ كُلَّهُ وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ، فَإِنَّ لِلهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا**

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ وَيُؤَمِّنَ رَوعَاتِكُمْ»[1]..؛

فالله ﷻ قد فضَّل بعض الأشياء على بعض، وبعض الأزمان على بعض، وبعض الأماكن على بعض، ومن أجل هذا التمس المسلمون في تجربتهم مع الله ﷻ وعبادتهم له على شرع الإسلام- التمسوا تلك النفحات وبحثوا عنها وتفننوا فيها، ونصحوا الآخرين بما توصلت إليه تجربتهم.

أخفى الله ﷻ ساعة الإجابة في يوم الجمعة، والنبي ﷺ يقول: «فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ خَيْرًا إِلاَّ أَعْطَاهُ»[2]، وفهم الصحابة من كلمة (يصلي) عموم الصلة بالله، سواء أكان يقف مصليًا في ركعتين أو أربعة في فرض أو نفل، أو كان بعد صلاة قد جلس يذكر الله، أو كان في حالة صلة وحالة دعاء، و«الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»[3]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وفي رواية: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»[4]، فالدعاء صلة بين العبد وربه، وكان النبي ﷺ يناشد ربه دائمًا ويعلمنا حال الأنبياء الذين أمرنا الله أن نقتدي بهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

إن نبي الله موسى عليه السلام كان يسأل ربه في شِسْع نعله، وكان يسأل الله في كل شيء حتى في ملح طعامه، وبهذا أوصى النبي أصحابه فقال: «لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ

---

(١) أخرجه البيهقي: شعب الإيمان- باب في الرجاء من الله تعالى: ١١٢١ عن عيسى بن موسى.

(٢) رواه البخاري: كتاب الدعوات- الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة: ٦٠٣٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، برقم: ٣٣٧١، ٣٣٧٢، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. والآية من سورة غافر، آية: ٦٠.

(٤) أخرجه الترمذي: الدعوات، برقم (٣٣٧١) وقال: غريب. وأخرجه أيضًا: الحكيم: ١١٣/٢، والديلمي: ٢٢٤/٢، برقم (٣٠٨٧).

حَاجَتَهُ كُلَّهَا حَتَّى يَسْأَلَ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ»[1]؛ فما بالكم في العظائم من الأمور التي نموج فيها موجًا، فإنه ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨].

والله جعل لنا نفحة في يوم الجمعة واستندوا فيها علىٰ أربعين قولاً، ومن أجل ذلك عادت مرة أخرىٰ خفية.

وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين يقول: لا يعدمها صاحب الحاجة؛ فليجلس من بعد الشروق إلىٰ المغرب يسأل ربه حاجته.

ولا تحسبنها أيها المسلم هينة، فإن الجسد الذي لم يتعود علىٰ العبادة لا يحصل عليها، قالها عمر بن الخطاب لأنه قد عوَّد جسده علىٰ العبادة فهان عنده أن يجلس من الفجر إلىٰ المغرب يسأل ربه حاجته، ولكن الحالة التي عليها الآن غالب المسلمين -إلا من رحم ربي- أنهم قد تكاسلوا في جناب الله ﷻ، فلا يستطيعون أن يفعلوا هذا الخير، ولا يستطيعون أن يستسهلوا هذا السهل؛ فإنه سهل علىٰ من سهله الله عليه، ويسير علىٰ من يسره الله عليه.

ويقول رسولنا الكريم ﷺ وهو يدلنا علىٰ مواطن الغيث: «**إِذَا مَضَىٰ شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَىٰ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**»[2].

رب العالمين ينزل إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل: في أي

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات: ٣٦٨٣ وصححه مرسلًا عن ثابت البناني. وفي الباب: ٣٦٨٢، عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه، والمرسل أصح. وابن حبان: (ترجمة ٨٩٤) والشِّسْعُ: أحد سُيُور النعل، وهو الذي يُدْخَلُ بين الإِصْبَعَيْن ويُدخل طَرَفُه في الثَّقْب الذي في صدر النعل المشْدود في الزِّمامِ. لسان العرب: شسع.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها- الترغيب في الدعاء آخر الليل: ٧٥٨. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقت؟ لا ندري؛ فصاحب الحاجة لا ييأس؛ فليقم الليل في ثلثه كله، وثلث الليل لا يتعدىٰ أربع ساعات يناجي فيها ربه، ويدعوه ويتوسل إليه ويلتجئ إليه بقلبه مخلصًا فإن الله ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧، والبروج: ١٦]، و﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦].. لقد أدركنا مجالس الدعاء، وكانت المشايخ يجلسون فيها إذا ما أرادوا شيئًا يدعون ربهم، فما أخطأوا دعاء دعوه.

أما ما نراه وكأن الدعاء قد رُفعت بركته من بين الناس عندما انغمسوا في الحياة الدنيا فلم يروا حقيقتها وأنها إلىٰ زوال، وأن الموت يتم بيننا يوميًّا كل ساعة وكل دقيقة.. فهل من معتبر؟

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: «**حَبَسُونَا عَنْ صَلاَةِ الْوُسْطَىٰ صَلاَةِ الْعَصْرِ مَلأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا**»(١)، ويقول ربنا تبارك وتعالىٰ: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فعرفنا الصلوات الخمس..

أما الصلاة الوسطىٰ قيل هي الفجر، وقيل هي الظهر، وقيل هي العصر، وقيل هي المغرب، وقيل هي العشاء، وقيل صلاة مبهمة تتغير بتغير الأشخاص.. وقيل غير ذلك..؛ فالصلاة الوسطىٰ هي الصلاة الصعبة التي تغفل عنها، أو التي يشغلك عنها الشاغل.. فحافظ علىٰ الصلوات كلها وأقمها لله، وكن محافظًا علىٰ الصلاة الوسطىٰ في كل يوم وليلة..

فإذا ما التجأت إلىٰ الله بعدها بدعاء استجاب الله دعاءَك.

---

(١) متفق عليه، البخاري: كتاب التفسير- باب حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَىٰ: ٤٢٥٩، واللفظ له. ومسلم في المساجد- باب الدَّلِيلِ لِمَنْ قَالَ الصَّلاَةُ الْوُسْطَىٰ هِيَ صَلاَةُ الْعَصْرِ، برقم (٦٢٧).

وعن عُبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَ النَّاسَ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلاَحَى -تشاجر- رَجُلاَنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ، فَتَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ وَإِنَّهَا رُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ**»(١)، وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»(٢).

وبعضهم قرأ سورة القدر فوجدها ثلاثين كلمة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥]، الكلمة السابعة والعشرون، فأخذ منها أن ليلة السابع والعشرين من رمضان هي ليلة القدر، وكان أبي بن كعب يقسم عليها أنها هي ليلة القدر(٣)، إلا أن العُبَّاد المُجَرِّبين المتتبعين لعلاماتها كما أخبر رسول الله ﷺ اكتشفوا لها قاعدة -الله أعلم بصحتها- وهي أنها تختلف باختلاف مبدأ الشهر؛ لأنها تكون ليلة الجمعة الوترية الأخيرة، ففي بعض الأشهر الجمعة اليتيمة تكون شفع، وفي بعض الأشهر تكون ليلة وتر، وبهذا نأخذ؛ فتختلف باختلاف الشهور وتصدق كل الروايات وهذا هو الراجح عند السادة الصوفية، أخفاها الله ﷻ وجعلها دائمًا محل ظن لأننا حتى

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب- باب ما ينهى من السباب واللعن: ٥/٢٢٤٨.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التراويح- باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر: ١٩١٣.

(٣) عن زِرّ بن حُبَيْش قَال: سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْب رضي الله عنه فَقُلْتُ: إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: مَنْ يَقُمِ الْحَوْلَ يُصِبْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ. فَقَالَ: رَحِمَهُ اللهُ أَرَادَ أَنْ لاَ يَتَّكِلَ النَّاسُ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي رَمَضَانَ، وَأَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، وَأَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ. ثُمَّ حَلَفَ لاَ يَسْتَثْنِي أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ. فَقُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ؟ قَالَ: بِالْعَلاَمَةِ أَوْ بِالآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهَا تَطْلُعُ يَوْمَئِذٍ لاَ شُعَاعَ لَهَا. رواه مسلم: الصيام- فضل ليلة القدر والحث على طلبها: ٧٦٢.

مع هذه القاعدة لا نعرف على جهة اليقين هل بدأنا الشهر متناهيًا عند الله أو بدأناه قبله بيوم أو بعده بيوم، فبدء الشهر مرتبط بالهلال، والهلال أمر ظني، والنبي ﷺ يأمرنا أن نأخذ بذلك الظن فقال: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمُ الشَّهْرُ فَعُدُّوا ثَلاَثِينَ**»(١).

فالأمر أمر تعبد وليس أمر بحث عن الحقيقة في نفسها، ومن أجل ذلك ستظل ليلة القدر في خفاء، وسيظل على المسلمين أن يلتمسوها في وتر العشر وفي شهرها إذا ما أرادوا أن يتعرضوا لنفحة من نفحات الله ﷻ..؛ فتعلموا الأدب مع الله.

ويستجاب فيها الدعاء، وتكتب فيها الأرزاق ويدفع عنه فيها السوء ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٣-٥].

وحاول بعض العلماء أن ينبهوا على علامات الكبيرة فقالوا: هو ما توعد بها بالخلود في النار، وقالوا: هي ما لعنَ فيها رسول الله ﷺ أصحابها، وقالوا: هي ما وصفها رسول الله ﷺ بالموبقات فيقول: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ**»(٢).

وأن هذه هي الكبائر، إلا أن بعضهم قال: إن الكبيرة توجد في المعصية

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصيام- باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤيته: ١٠٨١ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا- باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾: ٢٦١٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بغير تعيين؛ فرُبَّ كلمة تظنها صغيرة عندك وهي كبيرة عند الله، أتوا بذلك من قول النبي ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»(١)، فالكلمة والفعل الذي قد تحسبه هيّنًا ويكون عند الله عظيمًا، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، ومن أجل ذلك قالوا: إن الكبائر قد اختفت في المعاصي..

فلا بد علينا أن نترك المعاصي كلها، وأن نجتنبها بحالها حتىٰ لا نقع في تلك الكبائر ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشُّورىٰ: ٣٧]، ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢]؛ فالكبائر ينبغي أن نبتعد عنها، ما عرفناه منها وما جهلناه، ومن أجل ذلك ينبغي أن نقلع عن المناهي كلها، وفيما أخرجه ابن ماجه في أول سننه يقول رسول الله ﷺ: «**ما نَهَيْتُكُم عَنْ أمْرٍ فانتَهُوا ومَا أمَرْتُكُمْ بِأمْرٍ فَأتُوا مِنْهُ مَا اسْتطَعْتُم**»، وفي هذا رحمة من ربنا ﷻ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٣].

الله.. الله.. عندما تقشعر الجلود، الله عندما تلين هي والقلوب إلىٰ ذكر الله، الله.. كنوز المعنىٰ نقرأها، ودلالة المعنىٰ تتلألأ في ظلام الليل وظلام الحياة كلها، يريد فيها ربنا أن يخرجنا من ضيقها إلىٰ سعة رحمته ونحن نمر عليها بالليل والنهار غافلين.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق- باب حفظ اللسان: ٦١١٣. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذه السبع المثاني ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، نزلت في القرآن ولا ندري ما هي؟ هل هي الفاتحة؟ هل هي الحواميم السبع التي نزلت تباعًا فوضعت في المصحف تباعًا؟ هل هي آيات متشابهات يكمل بعضها بعضا وتخرج إلىٰ الحكمة؟ ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]؛ لا نعرف. فكيف نقرأها؟ نقرأ القرآن كله، والنبي ﷺ يبشر ويمدح «الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ»[1] كلما حَلَّ ارتحل، وهو الذي إذا ما انتهىٰ من القرآن أعاده أبدًا، حتىٰ لا نهجر الكتاب نتلوه بألسنتنا ونتدبره بأذهاننا ونؤمن به بقلوبنا، لا أن نجعله وراءنا ظهريًّا.

وأخفىٰ الله اسمه الأعظم في أسمائه الحسنىٰ، والنبي ﷺ يُبَيِّن لنا أن الله له أسماء كثيرة، فيقول: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي وَجَلاَءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي. إِلاَّ أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ. قَالَ: «أَجَلْ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»[2].

الأسماء الحسنىٰ الواردة في القرآن مائة وثمانية وخمسون اسمًا، وروىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب القراءات: ٢٩٤٨، مرفوعًا عن ابن عباس، ومرسلاً عن زُرَارَة بن أَوْفَى، وقال الترمذي عن المرسل: (وهَذَا عِنْدِي أَصَحُّ)، والحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة: فضائل القرآن- ذكر فضائل سور وآي متفرقة: ٢٠٩٠.

(٢) أخرجه أحمد (١/٤٥٢، رقم ٤٣١٨)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه: كتاب الرقاق- باب الأدعية: ٩٧٢، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. والحاكم (برقم١٨٧٧) وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١)، وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي ذكر تسعة وتسعين اسمًا(٢): وتلك الرواية فيها من الأسماء ما ليس في

---

(١) متفق عليه، البخاري: كتاب الشروط- باب مَا يَجُوزُ مِنَ الاِشْتِرَاطِ وَالثُّنْيَا فِي الإِقْرَارِ: ٢/٩٨١ برقم (٢٥٨٥). ومسلم في كتاب الذكر- باب في أسماء الله تعالى: ٤/٢٠٦٢ برقم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرج الترمذي في سننه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُوَ: اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِي الْمُتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِيُّ الْمُغْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ». قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. سنن الترمذي: الدعوات- باب أسماء الله الحسنى. وأخرجه ابن حبان في صحيحه: الرقائق- الأذكار: ٨٠٨.

وفي رواية ابن ماجه: الدعاء- أسماء الله: ٣٨٦١ ما ليس في رواية الترمذي من الأسماء وهذا نصها: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهِيَ: اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْمَلِكُ الْحَقُّ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَلِيمُ الْعَظِيمُ الْبَارُّ الْمُتَعَالِ الْجَلِيلُ الْجَمِيلُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْقَادِرُ الْقَاهِرُ الْعَلِيُّ الْحَكِيمُ الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ الْغَنِيُّ الْوَهَّابُ الْوَدُودُ الشَّكُورُ الْمَاجِدُ الْوَاجِدُ الْوَالِي الرَّاشِدُ الْعَفُوُّ الْغَفُورُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ التَّوَّابُ الرَّبُّ الْمَجِيدُ الْوَلِيُّ الشَّهِيدُ الْمُبِينُ الْبُرْهَانُ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْبَاعِثُ الْوَارِثُ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ الضَّارُّ النَّافِعُ الْبَاقِي الْوَاقِي الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ الْمُقْسِطُ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ الْقَائِمُ الدَّائِمُ الْحَافِظُ الْوَكِيلُ الْفَاطِرُ السَّامِعُ الْمُعْطِي الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْمَانِعُ الْجَامِعُ الْهَادِي الْكَافِي الأَبَدُ الْعَالِمُ الصَّادِقُ النُّورُ الْمُنِيرُ التَّامُّ الْقَدِيمُ الْوِتْرُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». قَالَ زُهَيْرٌ: فَبَلَغَنَا عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ أَوَّلَهَا يُفْتَحُ بِقَوْلِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ =

القرآن، وفي القرآن من الأسماء ما ليس في تلك الرواية، وتلك الرواية عند جردها واقتباسها وجدنا أن عدد الأسماء قد رَبَى على المائة والستين، ومع ما ورد في القرآن فإن الذي ورد في الشريعة من أسماء الله تعالى وجاءنا في سنة النبي ﷺ أكثر من مائتين وعشرين اسمًا، هذه هي الأسماء الحسنى التي أرشدنا الله أن ندعوه بها، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، فالله ﷻ يحثنا على أن نذكر بالأسماء كلها لعلنا أن نصادف الاسم الأعظم الذي إذا ما دُعي به أجاب، وسمع النبي ﷺ رجلًا يسأل الله ويقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»**[1].

والاسم الأعظم قال بعضهم هو الله الذي لا نعلم له سميًّا، وكثير من الأسماء قد تسمى بها الخلق كالقوي وكالمحسن وكالقادر وكالمعين، إلا أن الله لم يتسمَّ به أحد من العالمين، لا ادعاءً وكذبًا وزورًا، ولا على سبيل الاشتراك في اللغة، وهذا الكذاب مسيلمة سمى نفسه «رحمن اليمامة» فخسئ بما سمى نفسه به ونازع ربه بصفة ليست إلا له سبحانه، فلم يعد يسمى -والحمد لله- إلا «مسيلمة الكذاب» جزاءً وفاقًا[2].

=
وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.

(١) رواه أبو داود: كتاب الصلاة- باب الدعاء: ١٤٩٥. من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) روى البخاري: في كتاب المناقب- علامات النبوة في الإسلام: ٣٤٢٤ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ
=

إلا أن أحدًا من العالمين لم يُسَمِّ نفسه الله إلى الآن، منع الله الناس من ذلك.. فسبحان الله المتفرد بالجلال المتفرد بالكمال ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤٣]، فأخفىٰ ساعة الإجابة في ثلث الليل، وأخفىٰ ساعة الجمعة في يومها، وأخفىٰ الاسم الأعظم في أسمائه، وأخفىٰ المثاني في القرآن، وأخفىٰ ليلة القدر في العشر الأواخر، وأخفىٰ الكبائر في الذنوب، وأخفىٰ الصلاة الوسطىٰ في الصلوات، وهذه سبعة من سبعة.

أيها المسلمون فالتمسوا عبادة ربكم بشوق، وبقلوب تتوجه إليه، تخرج من ظلمات من تلك الحياة الدنيا المليئة بالفتن والمحن والإحن، وتدخل في حضرة القدس بربها فليس لها في الكون إلاه.

يا مَنْ تَعَاظَمَ حَتىٰ دَقَّ معناهُ * ولا تردَّىٰ رداءَ الكِبْرِ إلاهُ
تاهُوا بِحُبِّكَ أقْوامٌ وأنْتَ لهم * نِعْمَ الحَبِيْبُ وإنْ هَامُوا وإنْ تَاهُوا
ولِي حَبيبٌ عظيمٌ لا أبوحُ بِه * أخشَىٰ فَضيحةَ وجهي يوم ألقاهُ
أغالط الناس طرًّا في محبته * وليس يعلمُ ما في القلبِ إلاهُ

=

مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَىٰ مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «**لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ**». فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي**». فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ. قال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الاسراء: ١١٠]. قال ابن كثير في تفسيره: وَلَمَّا تَجَهْرَمَ مُسَيْلِمَة الْكَذَّاب وَتَسَمَّىٰ بِرَحْمَنِ الْيَمَامَة كَسَاهُ الله جِلْبَاب الْكَذِب وَشَهَّرَ بِهِ، فَلَا يُقَال إِلَّا مُسَيْلِمَة الْكَذَّاب. انتهىٰ. راجع تفسير القرآن العظيم: سورة الإسراء، آية: ١١٠.

ادعوا ربكم لعلها أن تكون ساعة إجابة.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون، فضلًا عن الصلاة والحج والقيام والزكاة والصدقة؛ فإن الصدق مع الله والعبادة والإخلاص والذكر والدعاء وقراءة القرآن ينبغي أن تشغل أوقاتكم جميعا حتىٰ إذا ما جاءت العبادة من خلال هذا الدعاء وتلك الصلة وهذا الذكر وهذه الربانية في الاتصال بالقرآن جاءت عبادة مقبولة، يقبلها الله ﷻ وتنهاكم عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر، وتنور قلوبكم وتستر عيوبكم وتغفر ذنوبكم عند ربكم، وتيسر أموركم كلها.

اللهم اغفر لنا يا أرحم الراحمين، اللهم أرنا الحق حقًّا واهدنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وجنبنا اتباعه.

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

العَشْـرُ الْمُنْـجِيَاتُ (١)
وَطَرِيق العَوْدَةِ

من أفكار الخطبة:

١- ماذا بعد رحلة الحج؟

٢- الكلمات العشر.

٣- معاني خمسٍ منها، وهي:

(سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر، لا حول ولا قوة إلا بالله).

العَشْرُ المُنْجِيَاتُ (١)
وطَرِيقُ العَوْدَةِ

أما بعد:

فها قد انقضىٰ زمن الحج إلىٰ بيته العتيق زمن ذلك الاجتماع العظيم الذي هو ركن من أركان الإسلام والذي جعله الله ﷻ ذكرًا له في مبتداه ومنتهاه وجعله في أشهر معلومات ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وجعل فيه أيامًا معلومات ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] جعله ذكرًا له ﷻ علىٰ كل حال.

ويسأل السائل العائد من بيت الله الحرام: كيف يستقبل حياته؟

يجب أن تستقبل أيها العابد حياتك بمثل ما كان يجب عليك أن تكون قبل حجك، وعلىٰ ذلك فالكلام موجّة إلىٰ كل مسلم ينبغي عليك أن تكون ذاكرًا لله فإن طريق الله ﷻ إنما هو بين الذكر والفكر.

والله ﷻ علمنا في كتابه وعلىٰ لسان نبيه ﷺ عشر كلمات نلهج بها في كل مواقفنا في الحياة حتىٰ تصبح حياتنا ذكرًا في ذكر، ومن إلفنا بهذه الكلمات فقدت معانيها في حياتنا وفي نفوسنا وفي مواقفنا، وأصبحنا نرددها بألسنتنا دون قلوبنا إلا من رحم ربي..

وننبه إلىٰ هذه الكلمات العشر: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، استغفر الله، توكلت علىٰ الله، حسبنا الله

ونعم الوكيل، إنا لله وإنا إليه راجعون، ما شاء الله» كلمات علَّمَنَا إيَّاها رسول الله ﷺ نواجه بها الحياة الدنيا.

«**سبحان الله**» نواجه بها كل عجيب، والإنسان يدرك عجب الحياة على مستويات مختلفة: منهم من لا يدرك آيات الله التي تتكرر كل يوم كالصباح والمساء ولا يرى في ذلك عجبًا، في حين أنها من عجب العجاب، ومن الآيات البينات التي كان ينبغي على المؤمن أن يتدبر فيها، وأن يتوصل منها إلى صفات الرحمن ﷻ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم: ١٧-١٩].

«**سبحان الله**» كلمة نقولها ننزه فيها ربنا عن كل نقيصة، وعلى ذلك فنحن نصفه بالكمال المطلق وبالقدرة المطلقة، وعلى ذلك فنحن نؤمن بقلوبنا بوجوده وبرحمته وفضله وبتنزلات تلك الرحمة على عباده بالليل والنهار، هو المحيي المميت، هو الحي القيوم ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

«**سبحان الله**» أرشدنا رسول الله ﷺ أن نذكرها بعد الصلاة وعدَّ لنا ثلاثًا وثلاثين.. (سبحان الله) تمثل جزءًا من الذكر الجامع، وأهل الله الذين لهجت ألسنتهم بذكر الله وعلموا الأمة كيف يذكرون ربهم أطلقوا كلمة الذكر الجامع على ما ورد في قوله ﷺ: «**اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ**». قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ**»[1].

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه: كتاب الرقائق- باب الأذكار: ٨٤٠، والحاكم: ١/٦٩٤، =

«**لا حول ولا قوة إلا بالله**»: ورد أنها من كنزٍ تحت العرش، وورد في حديث آخر أنها من كنز الجنة[1].

التفِت أيها المسلم إلىٰ تلك المعاني الراقية، لا تمر عليك مرور الكرام، ولا تجعل الإلف الذي آنسته في ديار المسلمين وكثرة تكرارها هذا التكرار علىٰ لسانك يُفقدك معناها وأن تعيش فيها وبها.

«**سبحان اللّه**» لا آمرك أن تتلوها بلسانك ولا أن تمس شغاف قلبك وحسب، بل آمرك أن تعيش فيها وبها.. فإذا أنت فعلت ذلك انقطعت علائقك مع الدنيا، ومُلئ قلبك بالنور وكُشفت لك الأسرار.. أسرارُ الأدب مع الله.

و«**الحمد للّه**» ونحن لا نقدر أن نوفي حمده؛ فإذا جدّت لك نعمةٌ أو استمرت معك مِنةٌ وشكرت الله ﷻ بكلمة «**الحمد للّه**»؛ فإن ذلك إنما هو من توفيق الله وحبه لك.. فكيف تنسب لنفسك أنك حامد والذي وفَّقك للحمد بإذنه ومنِّه وكرمه هو الله؟! فينبغي عليك حينئذٍ أن تحمده ﷻ علىٰ توفيقك لحمده، فإذا أنت لاحظت ذلك وفعلته كان الموفق لك هو الله، ولا تخرج أبدًا من دائرة فضله ورضاه، ولا ترتدُّ أبدًا عن الخضوع والتذلل إليه، والسجود الذي لا قيام بعده حين يسجد قلبك، وإذا سجد القلب لا يقوم إلىٰ يوم القيامة من سجدته لله..

=

رقم ١٨٨٩، وأحمد: ٧٥/٣، رقم ١١٧٣١ كلهم من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وذكره الهيثمي في المجمع: ٨٧/١٠ وحسن إسناده.

(١) - أخرج البخاري: كتاب الدعوات- باب لا حول ولا قوة إلا بالله: ٦٠٤٦ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قال رَسُول الله ﷺ: «يَا أَبَا مُوسَىٰ -أَوْ يَا عَبْدَ اللهِ- أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ». قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَ: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ». وروىٰ أحمد في مسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ -قَالَ هَاشِمٌ: أَفَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ- كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ يَقُولُ أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ».

ماذا تفعل بـ«**الحمد لله**» أصدَرت منك أيها الضعيف الذليل؟ أم أنك قد أدخلت نفسك؟.. بل أُدخلت بإذن الله في دائرةٍ لا تنتهي من الشعور بفضل الله ومنّه عليك، ولا يسعُك إلا أن تقول (اللهم عاملنا بما أنت له أهل ولا تعاملنا بما نحن له أهل وأدخلنا يا ربنا في رحمتك من غير حول منا ولا قوة)..

«**الحمد لله**» تذكرها طوعا واضطرارًا لأنها قد فُرضت عليك في الصلاة تتلوها في الفاتحة، تخاطب بها ربنا.

أما «**لا إله إلا الله**» فتلخص حقيقة الأكوان؛ فالرب ﷻ لا بداية له ولا نهاية له، ولا شبيه له ولا احتياج منه لغيره، وهو قائم بذاته قيوم السماوات والأرض، وهو واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد لم يكن له كفوًا أحد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

علَّمك «لا إله إلا الله» تواجه بها العالمين من ضلَّ ومن اهتدى، وتواجه بها أهوال يوم الدين فما بالك حين تواجه بها أهوال الدنيا!! وأهوال الدنيا في أهوال يوم الدين لا تذكر ولا يُلتفت إليها.

علمك بـ «لا إله إلا الله» وقد اعتززت بها فصرت عبدًا لله، علَّمك أن تواجه بها أهوال الدنيا والآخرة..؛ راجع نفسك: هل تواجه بها أهوال الدنيا والآخرة؟ أو أنها صارت كلمة تخرج من لسانك دون تدبر عقلك ولا قلبك ولا روحك، وأصبحت كلمة لا تمس شغاف قلبك ولا تشتاق بها روحك إلى الله؟

«**الله أكبر**» جعلها ربنا فاصلاً بين الحق والباطل، وجعلها فاصلاً بين الاتصال به والاشتغال بالدنيا..

فجعلها تكبيرة الإحرام في الصلاة ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٥].

«**الله أكبر**»، ولم يقل لنا أكبر من ماذا..؛ لا مقارنة أصلاً بينه وبين شيء حتىٰ يكون ﷻ أكبر منه؛ فهو أكبر في ذاته فتضاءلت الأشياء أمام عظمته وكبريائه..!

فتضاءلت؟!.. هذه فيها سوء أدب!! انتفت. انتفت!! عدمت. عدمت!!!

واللهِ لا أجد كلمةً في مقابلة عظمة الله إلا أنه ﷻ أكبر فـ«الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلًا لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون».

«**لا حول ولا قوة إلا بالله**» بداية الأدب مع الله..

يجب عليك أن تنفي نفسك في مقابلة وجوده، وأن تتبرأ من قوتك وحولك له ﷻ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩] فالتفت إلىٰ صناعة الله في الكائنات، ولا تلتفت إلىٰ حولك وقوتك من دون الله..

أنا لا أظن أن الأمة الإسلامية القائمة بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله) يهزمها هازم، ولا أظن أن الأمة التي تعي هذا الكلام من تسبيح الله وحمده سبحانه والتوحيد له سبحانه وتكبيره ثم يُبرئ نفسه من كل حول وقوة إلا أن يخافه الجن والإنس، وإذا كان حال المسلمين علىٰ ما نحن عليه فإنما قد فقدوا معنىٰ ذكر الله ووقعوا فيما حذّرهم الله منه، من أن يقولوا ما لا يفعلون أو أن يفعلوا ما لا يعتقدون؛ فيكون الأمر أشبه بالنفاق -والعياذ بالله- ومنه نفرّ ولا نريد أن نفر من النفاق إلىٰ الله ﷻ بألسنتنا دون أفعالنا «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ كَنْزٌ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ**»...

عرش الرحمن ﷻ وما أدراك ما عرش الرحمن!

كنت أظن أنني سأتكلم عن الكلمات العشر كمنهج يسلكه العائد من الحج في ذكر الله تعالىٰ، ومنهج يسلكه من لم يحج لأنه ينبغي عليه أن يتخلق به حتىٰ بعد حجّه أو قبل حجّه، وحرصًا منا علىٰ وقت الخطبة نبدأ بتلك الخمسة «استغفر الله.. توكلت علىٰ الله.. حسبي الله.. إنا لله وإنا إليه لراجعون.. ما شاء الله» في الجمعة القادمة إن شاء الله.

أيها الناس افهموا عن ربكم.. افتحوا قلوبكم وآذانكم للموعظة، لعل الله أن يرضىٰ عنا، وأن ينقلنا من دائرة سخطه إلىٰ دائرة رضاه، وتمسَّكوا بذكر الله بألسنتكم حتىٰ يصل إلىٰ قلوبكم، ولا يصدنكم الشيطان عن الذكر باللسان بدعوىٰ أنه لا يصل إلىٰ قلبك؛ فسيصل في يوم ما، اذكروا الله علىٰ كل حال، ولا تتركوا الذكر باللسان بل أضيفوا إليه الجَنان[1]، وادعوا ربكم.

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه مِلء السماوات ومِلء الأرض ومِلء ما شئت من شيء بعد يا رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه ومن اتبعه بإحسان إلىٰ يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فيا عباد الله ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]،

(١) الجَنانُ، بالفتح: القَلْبُ لاستتاره في الصدر، وقيل: لِوَعْيه الأَشْياء، وجَمْعِه لها، وقيل: الجَنانُ رُوحُ القلب، وذلك أَذْهَبُ في الخَفاءِ، وربما سمّي الرُّوحُ جَنانًا لأَن الجسم يُجِنُّه. وقال ابن دريد: سمّيت الرُّوح جَنانًا لأَن الجسم يُجِنُّها فأَنَّث الروح، والجمع أَجْنانٌ. لسان العرب: جنن.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠]، ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، جعل كل عبادة تبدأ بالذكر وتنتهي به..

فيا عباد الله كنز أرشدكم إليه ربكم فلا تضيعوه هباءً رخيصًا..

واعلموا أن الوقت والزمن سيف إن لم تقطعه قطعك، فابدأ من حينك الآن في ذكر الله فإنك لا تدري متىٰ الموت، ولا تدري كيف الفوت..؛

فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون..

اللهم اغفر لنا ذنوبنا....

العَشْـرُ الْمُنْـجِيَاتُ (٢)
وَدَوَامُ الْهِجْرَةِ

من أفكار الخطبة:

١- مع العام الجديد علينا أن نهاجر إلى الله تعالى هجرة جديدة بالذكر والفكر.

٢- معاني الخمس الأُخَرُ من الكلمات العشر.

٣- الهجرة سُنَّة الأنبياء والرسل.

٤- أنواع الهجرة، وأقسام المهاجرين.

الْعَشْرُ الْمُنْجِيَاتُ (٢)
وَدَوَامُ الْهِجْرَةِ

أما بعد:

يومنا هذا يوم جليل جديد من أيام الله، يوم عيد فيه اجتماع المسلمين[١].. يوم هو أول أيام العام الهجري المبارك، وأول يوم في شهره المحرم، وعندما يأتي يوم جديد -والعرب تسمي الليل والنهار بالجديدين- يتمنىٰ المسلم أن يجدد حياته وأن يبدأ صفحةً جديدةً مع ربه.

ولقد تكلمنا في الأسبوع الماضي من تلك الكلمات العشر عن «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله» واستوفينا الكلام علىٰ هذه الخمس، وأجَّلنا الكلام علىٰ «استغفر الله.. توكلت علىٰ الله.. ما شاء الله.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. حسبنا الله ونعم الوكيل»..

وأرشدنا فيما أرشدنا إلىٰ هذه الكلمات العشر ألا تكتفي بذكرها بلسانك، ولا بِتدبُّرك لها بقلبك؛ إنما ينبغي أن تعيش معها، فهناك فارق كبير بين السماع والاستماع، وبين النظر والرؤية، وبين المعايشة؛ فإنك إن علمت قول

---

(١) يوم الجمعة عيد للمسلمين، وأخرج الترمذي: كتاب تفسير القرآن- من سورة المائدة: ٣٠٤٤ عن عَمَّار بن أَبِي عَمَّار قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وَعِنْدَهُ يَهُودِيٌّ فَقَالَ: لَوْ أُنْزِلَتْ هَذِهِ عَلَيْنَا لاَتَّخَذْنَا يَوْمَهَا عِيدًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي يَوْمِ عِيدٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ وَيَوْمِ عَرَفَةَ. قَالَ أَبُو عِيسَىٰ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ صَحِيحٌ.

رسول الله ﷺ وفعله وتقريره، وإن رأيته مناما أو عيانا - فإنك لا تكون قد اطلعت على حاله بل تكون قد علمت ورأيت، والمقصود المعايشة، والمعايشة أن تعيش في حاله ﷺ.

وعندما تأتي الهجرة نتذكر أحداثها، ولا ينبغي علينا أن نقف عند أحداثها، بل ينبغي علينا أن نعيش فيها، لا أن ندرك ما فعله علي رضي الله عنه حين اضطجع مكان النبي ﷺ، وقد همت قريش بقتله ضربة رجل واحد، ولا كيف استعان رسول الله ﷺ بعبد الله بن أُرَيْقِط المشرك[1] الذي ظل مشركًا ومات على شركه، أو كيف عامل سراقة بن مالك[2]، أو غير ذلك من الأحداث التي يعلمها كثير منا... بل ينبغي علينا أن نعيش الهجرة مع سيدنا رسول الله ﷺ؛ فالسنة في ظاهرها أقوال النبي المصطفى والحبيب المجتبى ﷺ وأفعاله وتقريره، وفي حقيقتها إنما هي أحواله ﷺ مع ربه، فتنبه إلى أن هذا ينبغي أن يرشدك إلى ذاك، وأن تعيش حاله لا أن تراها وأن تعلمها.

---

(١) رجل من المشركين استأجره النبي ﷺ وصاحبه وأمِناه ليكون دليلاً لهما إلى المدينة، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه بغار في جبل ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه بغار ثور فكَمِنَا فيه ثلاث ليال.

(٢) سُرَاقة بن مالك هو من أدرك رسول الله ﷺ من المشركين طمعًا في جائزة قريش، وأخذ يجد في السير حتى اقترب منهم، فقال أبو بكر: «هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللهِ». فَقَالَ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فإذا بقوائم فرس سُراقة قد ساخت في الأرض حتى بلغت الركبتين، فسقط عنها ثم زجرها، فنهضت فما كادت تخرج يديها حتى سطع لأثرها غبار ارتفع في السماء مثل الدخان، فعلم سراقة أنه ممنوع منهم وداخله الرعب، فناداهم وطلب من الرسول ﷺ كتاب أمان، فكتب له عامر بن فهيرة، وعاد بعدها سراقة لا يلقى أحدًا من المشركين إلا رده، ويقول: «قد كفيتم ما هاهنا» ومضى الرسول ﷺ في طريقه إلى المدينة. راجع صحيح البخاري: المناقب- هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة: ٣٦١٦.

فلا بد عليك من أن تعايش تلك الكلمات العشر، وهو برنامج صالح لأن تطبقه من اليوم، في ذلك اليوم الجديد في الشهر الجديد في العام الجديد وهو يوم عيد- فالجمعة في كل أسبوع عيد..

وهذا اليوم صالح لأن تعيش هذه العشر، وأن تتدبر فيها وأن تعلم أن استغفارك إنما هو هجرة، والنبي ﷺ بعد الفتح يقول: «**لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**»(١) ويقول «**من هاجر في سبيل الله ولو شبرًا من الأرض**» فالهجرة انتقال من حال ردي إلىٰ حال مرضي، فإذا كانت الهجرة كذلك فهاجِر وسِح في ذكر الله حتىٰ تكتب من السائحين والسائحات، لا تلك السياحة الدنيوية التي تُجلب فيها الشهوات، وتُتَّبع فيها المعاصي، بل تلك السياحة الربانية التي تعيش فيها في تلك الكلمات العشر، وتعلم انخلاعك من الذنب وهجرتك إلىٰ الله ﷻ علىٰ ما سنرىٰ في معنىٰ الهجرة الآن.

«**توكلت على الله**» لا بالكلام ولا بالألفاظ ولا أيضًا بالعلم بالعقل ولا بالحضور بالقلب بل بالمعيشة في التوكل علىٰ الله، ومن توكل علىٰ الله كفاه، فتأتي حقيقة «**حسبي الله**» مَن جعل ربَّه حسيبه، فإنه لا ينظر إلىٰ دنيا من حوله، ولا يعتمد علىٰ أشخاص هم أحوج الناس إلىٰ غيرهم؛ فكل الناس يحتاج إلىٰ ربه، وهم لا يملكون شيئًا من أمر أنفسهم، فكيف يملكون لك نفعًا أو ضرًا أو حياةً أو موتًا أو رزقًا... أو غير ذلك من المبتغىٰ؟! وحينها ينطق لسانه مع حاله «**ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن**»، وإذا أصابه أمرٌ فلا جرم أن تتجلىٰ في قلبه

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير- باب فضل الجهاد والسير: ٦١٥/٢ برقم ١٧٣٧، ومسلم: الحج باب تحريم مكة: ٤٧٨/٣ برقم ١٣٥٣. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا».

حقيقة «**إنا لله وإنا إليه راجعون**»، وصدق الله العظيم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

ينبغي عليك أن تعيش في هذا البرنامج، ويتحول كلامك وفعلك إلىٰ حياة تشعر بقلبك فيها حال رسول الله ﷺ، مع ربه وما أراد أن يبلّغنا إياه؛ فإذ بينابيع الحكمة تتفجر من قلبك، وإذ بالحجب تتساقط عن عقلك وفؤادك، حجابًا بعد حجاب، وإذ بك تقرأ القرآن قراءةً جديدة، وتسمع رسول الله ﷺ فيما صح عنه من الحديث بسماع جديد مختلف عن ذلك الذي تعودته من قبل أن تدرك بعض حاله ﷺ مع ربه.

الهجرة أيها الناس لم تكن قاصرة علىٰ النبي ﷺ، بل قد هاجر كل نبي.

هاجر آدم -حتىٰ ولو لم نسمها هجرة- أمره ربه أن يترك الجنة: ﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨]، ترك الجنة ولكن هذا الترك كان تركًا قسريًّا، فيما يمكن أن نسميه هجرة الحرمان، الناتج عن خطأٍ ارتكبه وعن عهد نقضه وعن معصيةٍ وقع فيها، فبدَّل الله حاله وحرمه مما كان عليه، وأخرجه إلىٰ أرضٍ أخرىٰ هي أرض التكليف لا التشريف، لقد كان في أرض التشريف فخرج منها إلىٰ أرض التكليف؛ فهذه «**هجرة حرمان**» وتلاحظ فيها أن آدم يتشوف إلىٰ الجنة، وأنه يعمل للعودة إليها، وفيها أُرغم إرغامًا من غير اختيارٍ منه علىٰ تلك الهجرة.

والهجرة الثانية «**هجرة أمان**» ويمثلها سيدنا موسىٰ وسيدنا عيسىٰ..

في هجرة الأمان انتقل **موسى** من أرض الطغيان والعدوان ﴿ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢١-٢٢]، خرج موسىٰ من الأرض التي تربّىٰ فيها.. من

وطنه من أهله، وخرج خائفًا يترقب وخرج أيضًا عن قسر، لكنه أدون من قسر الأول، وهو يريد أن يعود إليها وفعلاً عاد إليها..

وكأمر **عيسى** ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠]، فخرج من فلسطين وآواهما الله ﷻ في أعالي مصر، وعاد عيسىٰ بعد ذلك إلىٰ هناك ليشهد خراف بني إسرائيل الضالة كما عبّر عن نفسه عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام..

ومنها **الهجرة الأولى إلى الحبشة** كانت «**هجرة أمن**»، خرج منها الناس لا رغبةً في الحبشة إنما فرارًا من أولئك الطغاة المجرمين، الذين يتسلطون عليهم بالعذاب وبالطغيان وبالظلم في كل مكان، وعادوا إلىٰ أوطانهم بعدما خرجوا.

والنوع الثالث من الهجرة هو «**هجرة الإيمان**»، وهو بالاختيار أيضًا ولكن بناءً علىٰ مشكلةٍ يعيشها الإنسان في مكان، ويريد أن يهاجر ابتغاء مزيد الإيمان والدعوة إلىٰ الله ﷻ في مكان آخر.

فالهجرة بأنواعها كلها فيها **مفارقة الأوطان** والأحباب والأهل، وفيها نوع من أنواع الألم، وفيها صبر ومجاهدة، وفيها تشوّف وعمل للرجوع والعودة..

ومنها **هجرة الحبيب المصطفى ﷺ إلى المدينة** فقد هاجر من دار كفر إلىٰ دار إيمان، وأسس دولة وبنىٰ الإنسان، وعندها وقد أسس المسجد أول ما أسس؛ إنما أسَّس الساجد قبل المساجد، انتقل رسول الله ﷺ وهو ينظر إلىٰ مكة ويقول: «**أَمَا وَاللهِ، لَأَخْرُجُ مِنْكِ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكِ أَحَبُّ بِلَادِ اللهِ إِلَيَّ وَأَكْرَمُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي: ٥/٧٢٣، برقم ٦، وقال: حسن غريب. وابن حبان: كتاب الحج- باب فضل مكة: ٩/٢٣، برقم ٣٧٠٩، والحاكم: ١/٦٦١، برقم ١٧٨٧، وقال: صحيح الإسناد، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة: ٣١/١٠ برقم ١٨٧١٥.

وعمل النبي المصطفىٰ والحبيب المجتبىٰ ﷺ علىٰ العودة مرة أخرىٰ فعاد إليها فاتحًا.

هجرة الحرمان وهجرة الأمان وهجرة الإيمان كانت بعدها العودة، وفي عصرنا هذا حدثت هجرة أمان حيث طرد الصهاينة أهلَ الأرض منها، ولابد علىٰ أهل الأرض أولئك أن يعودوا إليها؛ فسنّة الله في خلقه في الهجرة في سبيله ﷻ أن نعود إليها كما سيعود إلىٰ الجنة آدم ومن اتّبعه من أولاده المؤمنين إن شاء الله رب العالمين؛ فإنه سيعود إلىٰ الجنة بعد أن نجح في اختبار ربه في دار التكليف، هو ومن اتّبعه من ذرّيته المؤمنين.

هجرة الإيمان وهجرة الأمان وهجرة الحرمان بعدها **هجرة عودة**..؛

فتلك العقول التي هاجرت وبنت بناء الغرب لابد عليها أن ترجع إلىٰ أوطانها وأن تعمل علىٰ بنائها وعلىٰ تقويتها.. هاجروا لأي سبب كان سواء أكان من الأمن أو من الإيمان، فإنه ينبغي عليهم العمل علىٰ العودة إلىٰ أوطانهم، وأن يفيدوا أُناسهم ومجتمعهم.

إذن فرسول الله ﷺ يرشدنا إلىٰ الهجرة دائمًا، وإلىٰ الصبر وإلىٰ العمل وإلىٰ العودة، وذلك يقتضي أمورًا كثيرة منها: الثقة بما في يد الله، ومنها وضوح الفكر، ومنها صفاء القلب، ومنها الإخلاص، ومنها المثابرة.. أمور تغيّر شخصيةَ المسلم إن هو أدركها تُغير نفسيته.. تغير برنامجه اليومي.

فيا عباد الله تأملوا في هجرة الحبيب المصطفىٰ ﷺ ومن قبله من الأنبياء، وهاجِروا في سبيل الله ولو شبرًا من الأرض، واعلموا أن الهجرة في ذاتها تكليف ومشقة، وتحتاج إلىٰ صبرٍ وعمل، وسيرجعك الله ﷻ، فإن لم ترجع

وتوفاك قبل ذلك فأجرُك على الله ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٠].

أيها الناس.. «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ ورَسُولِه فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِه، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[1] ادعوا ربكم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحبيبه، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة؛ فاللهم جازه عنا خير ما جازيت نبيًّا عن أمته.

أما بعد: فيا عباد الله... درجة الصدّيقية درجة من درجات القرب إلى الله، نالها سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، فكان قريبًا من رسول الله ﷺ بجسده وروحه ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠]...

---

(١) متفق عليه، البخاري: كتاب بدء الوحي- باب كيف كان بدء الوحي: ٦/٢٥٥١، رقم ٦٥٥٣، ومسلم: كتاب الإمارة- باب العمل بالنية: ٣/١٥١٥، برقم١٩٠٧ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أبو بكر ما كان أبدًا يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ، لا في مكة ولا في المدينة، لكنه في رحلة الهجرة هذه كان يتقدم بين يدي الرسول ﷺ حماية له بجسده، ويتأخر خيفة أن يأتيه العارض من خلفه، ويكون عن يمينه ويكون عن يساره أكثر من قلق الأم على ولدها[1].. مِمَّ هذا؟ من أمور ثلاث: إنه عرف ربه، وإنه خافه، وإنه أحبه..

وهذه الثلاثة إذا وجدت في الشخص فهو عارف بربه: المعرفة والخوف والحب؛ فكان يحب النبي ﷺ ويخاف الأذية عليه ولسان حاله يقول له:

---

(١) قال ابن حجر في الفتح: وَفِي «دَلَائِل النُّبُوَّة لِلْبَيْهَقِيِّ» مِنْ مُرْسَل مُحَمَّد بْن سِيرِينَ «أَنَّ أَبَا بَكْر لَيْلَة اِنْطَلَقَ مَعَ رَسُول الله ﷺ إِلَى الْغَار كَانَ يَمْشِي بَيْن يَدَيْهِ سَاعَة وَمِنْ خَلْفه سَاعَة، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: أَذْكُر الطَّلَب فَأَمْشِي خَلْفك، وَأَذْكُر الرَّصَد فَأَمْشِي أَمَامك. فَقَالَ: «**لَوْ كَانَ شَيْء أَحْبَبْت أَنْ تُقْتَل دُونِي؟**» قَالَ: أَيْ وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ، فَلَمَّا اِنْتَهَيَا إِلَى الْغَار قَالَ: مَكَانَك يَا رَسُول الله حَتَّى أَسْتَبْرِئ لَك الْغَار، فَاسْتَبْرَأَهُ». وَذَكَرَ أَبُو الْقَاسِم الْبَغَوِيُّ مِنْ مُرْسَل اِبْن أَبِي مُلَيْكَة نَحْوه، وَذَكَرَ اِبْن هِشَام مِنْ زِيَادَاته عَنْ الْحَسَن الْبَصْرِيّ بَلَاغ. ا.هـ. فتح الباري: كتاب المناقب- باب هجرة النبي ﷺ: ٣٦١٦.

وأخرجه الحاكم في المستدرك: الهجرة- الهجرة: ٤٢٦٨ عن مُحَمَّد بن سِيرين قَالَ: «ذُكِرَ رِجَالٌ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ رضي الله عنه فَكَأَنَّهُمْ فَضَّلُوا عُمَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: وَاللهِ لَلَيْلَةٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ، وَلَيَوْمٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ، لَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ انْطَلَقَ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَاعَةً خَلْفَهُ حَتَّى فَطِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَالِكَ تَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيَّ وَسَاعَةً خَلْفِي؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَذْكُرُ الطَّلَبَ، فَأَمْشِي خَلْفَكَ، ثُمَّ أَذْكُرُ الرَّصَدَ فَأَمْشِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ دُونِي؟**» قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا كَانَتْ لِتَكُنْ مِنْ مُلِمَّةٍ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ تَكُونَ لِي دُونَكَ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا مِنَ الْغَارِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ حَتَّى اسْتَبْرِئَ لَكَ الْغَارَ، فَدَخَلَ فَاسْتَبْرَأَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَبْرِئْ الْجُحْرَةَ، فَقَالَ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ حَتَّى اسْتَبْرِئَ الْجُحْرَةَ، فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَأَ، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَزَلَ، فَقَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتِلْكَ اللَّيْلَةُ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ. قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، لَوْلَا إِرْسَالٌ فِيهِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

إن ذهبت أنا فأنا واحد أمَّا أنت فقد تذهب أمَّة...

عرف الحقيقة وعرف أن الواسطة بين الحق والخلق إنما هو هذا النبي المصطفىٰ والحبيب المجتبىٰ، فتحول محمد ﷺ عند أبي بكر إلىٰ قضية هي قضية التوحيد التي قامت عليها السماوات والأرض.. **عَرَف وخاف وأحبَّ..**

اقرأوا الهجرة وسيرتها والتمسوا فيها المعرفة والخوف والحب...؛

ومن ذاق عرف ومن عرف اغترف..

فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا.....

الْمَلِكُ

من أفكار الخطبة:

١- من معاني اسمه تعالى «الْمَلِك».

٢- كيف نتخَلَّق ونتعلَّق بهذا الاسم الكريم من أسمائه تعالى.

٣- في الخطبة الثانية: مسائل وأحكام في صلاة العيد وفضائل الأعمال.

الْمَـلِكُ

أما بعد:

فياأيها المؤمنون مع اسمٍ من أسمائه تعالىٰ ندعوه به ونذكره، ونتخلق به ونتعلق.. اسم يشتمل علىٰ صفات الجمال والجلال..

وفي هذه الأيام التي هي أيام ذكر وهي أفضل أيام العام، كما قال رسول الله ﷺ في شأن العشر الأوائل من ذي الحجة بما فيهم ذلك العيد العظيم الذي هو عيد الفداء.. أيام الذكر هذه نذكر فيها ربنا ﷻ بأسمائه الحسنىٰ..

واليوم نذكر اسم الله (الملك) والله ﷻ سمىٰ نفسه مالكا وملكا ومالك الملك ومليك؛ فكلمة (مالك) وردت في فاتحة الكتاب في القراءة المتواترة ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، وكلمة (ملك) وردت أيضًا في قراءةٍ متواترة في فاتحة الكتاب ﴿ملك يوم الدين﴾[1]، ويقول ﷻ في سورة آل عمران: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧]، هو مالك الملك لا إله إلا هو ﴿ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران: ٢٧]، والله ﷻ يقول في شأن

---

(١) قرأ عاصم والكسائي بإثبات الألف: (مالك)، وقرأ البقية بحذف الألف: (ملك).

المتقين: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٥] هو المليك لا إله إلا هو.

و(الميم واللام والكاف- م ل ك) في لغة العرب تعني القوة، وتعني رباطًا بين أمرين، وتعني الاستغناء، وتعني مطلق التصرف، وكل ذلك نراه في باطن اسمه تعالىٰ (الملك- المالك- المليك)؛ فـ(مالك) اسم فاعل، و(مَلِك) من المُلك، و(مالك) من المِلك فيقال: مالك الدار أو مالك الدينار، والله ﷻ مالك يوم الدين حيث يسأل كل مالك عما ملَّكه إياه، و(مليك): صيغة مبالغة علىٰ وزن فعيل، من اسم الفاعل، و(مالك الملك): حقيقة يتفرد بها ﷻ ليست لأحدٍ سواه..، فالملك كله لله.

لو قلّبنا حروف هذه المادة لخرج منها (الكلْم) والكلْم: الجرح، وفيه قوة.

و(الكلام) والكلام أقوىٰ من السكوت.

و(اللكم) لكمه أي: ضربه، وفيها قوة،

و(كمل) والكمال أتم من النقصان...،

كل تصاريفها تعني القوة؛ فـ (المالك) يتصرف في ملكه كما يشاء، و(المَلِك) له سلطان علىٰ رعيته، والله ﷻ هو (المالك) الحقيقي للأكوان ولا يكون في كونه إلا ما أراد، وهو (الملك) الحقيقي لها ولا يكون في ملكه إلا ما شاء، و(المليك) فعيل فهو مالك من كل وجه.. هو المالك علىٰ الحقيقة.. والمِلك علىٰ الحقيقة..؛

وكل من نُسب إليه المِلك والمُلك إنما هو علىٰ المجاز..

هو المَلِك يستغني عن كل أحد من كل جهة، والناس لا تستغني عن ربنا ﷻ بل تحتاج إليه في وجودها وفي استمرار ذلك الوجود، في أرزاقها وحياتها بل ومماتها، في كل شيءٍ يحيط بها؛ فلسنا ملّاكًا علىٰ الحقيقة إنما

المِلك والمُلك هبة من الله ﷻ، يهبها من يشاء ومتى شاء وكيف يشاء، وينزعها ﷻ كذلك...

هو مالك الملك فلا مالك على الحقيقة ولا ملِك سواه.

عندما نقول في عقد الزواج عقد الإملاك؛ لأن فيه **رابطة** بين اثنين وفيه **قوة** وفيه **قوامة** أحدهما على الآخر فيسمى بالإملاك...

فإذا ما جاء المسلم ليعيش مع ذلك الاسم ويعرف كيف يتخلق به وكيف يتعلق، ويرى فيه جانب الجمال وجانب الجلال وجانب الكمال له ﷻ- فإنه ينبغي عليه أن يُفرد المُلكية والمالكية لله تعالى؛ فإذا أنت عرفت ذلك توكلت عليه حق توكله...

لو عرفت أن الخير بيد الله وأن الأمر بيد الله فكيف تسأل سواه..!

إذا عرفت أنه لا يكون في كونه إلا ما أراد فكيف تخاف من دونه أحدًا؟!

لا يستطيع من أدخل المَلِك في قلبه أن يُبقي لأي شيء ملك، ولا لأي شئ مالكية؛ فيستحي الإنسان إذا ما ذكر الملك الوهاب أن يدخل في قلبه إلاه، ولا يعرف مالكًا سواه؛ فتراه قويًا في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، وتراه يفعل كل أفعاله لله لا ينظر لأحدٍ سواه، كيف وقد دخل الله بصفة الملك في قلبك أن تملّك قلبك غير الله!! هذا لا يعقله العارفون ولا يقدر عليه ويطيقه أحد من الناس تخلّق بذلك الاسم على الحقيقة.

فينبغي عليك أن تدرك معنى التخلق بهذا الاسم الشريف، تدرك أن الدنيا كلها بيدك وأنها ليس منها شيء في قلبك، مطلق التوكل والاعتماد والاستناد إلى الله ﷻ، حينئذٍ أيها المسلم ستكون مستجاب الدعاء تمد يدك إلى السماء يا رب فلا تنتهي إلا وقد أجاب الله دعاءك. فأخرج السِّوى من قلبك،

وأخرج الأكوان أيضًا من قلبك، واملأه باسمه (الملك) ﷻ.

الملك فيها سيطرة؛ فالملك يسيطر على رعاياه وعلى جنوده..؛ فمَن رعاياك وجنودُك؟ قلبك من جنودك.. شهواتك من جنودك.. عينك.. وأذنك.. ولسانك.. وممشاك.. سكونك وحركتك من جنودك، تفعل بها ما كلفك الله به، أو تفعل الشر، فإذا كنت ملكًا فينبغي أن تطيعك هذه الرعايا وتلك الجنود..؛ فلا تصل إلى مقام الملكية إلا إذا استطعت أن تسيطر على حواسك وشهواتك، إذا استطعت أن تفعل ذلك لله فقد آتاك الله الملك؛ فأنت ملك على المجاز حيث إن الطاعة إنما هي بتوفيق الله ﷻ؛ فهو الذي أعطاك المُلك حينئذٍ وستشعر بلذةٍ في قلبك يتكلم عنها النبي ﷺ ويقول: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»[1] المؤمن القوي من كل جهة هو ملك.

ويتكلم أهل الله ويقولون: إننا في لذة لو عرفها ملوك الدنيا لقاتلونا عليها بالسيوف!

نعم هو ليس في يده شيء من حُطام الدنيا، ولا سلطان له على خلق الله، لكنه ملك لأنه قانع بما قسم الله، ولأنه مسيطر على شهواته وحواسّه لله، ولأن جنوده ورعاياه يطيعونه؛ فلا يتأخرون عنه في نصرته في طاعة الله؛ فهو ملك على الحقيقة، ولأنه يدرك أن ذلك الملك لا حول له فيه ولا قوة إنما هو منحة من الله ﷻ..

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر- باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله/ ٢٦٦٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**».

إذا أردت أن تكون ملكًا في الدنيا لا تُغريك زخارفها ولا حطامها.. إذا أردت أن تتصرف في الأكوان على مرادك فيكون كل ما وقع موافقًا لهواك: اجعل نفسك وشهوتك تحت سلطانك وسيطرتك، وتملَّك عليها؛ فإذ بك أيها المسلم عبدًا ربانيًا تقول للشيء كن فيكون بإذن الله.

(الملك) صفة افتقدناها في أنفسنا، وافتقدنا معناها؛ فلا القوة أردنا لأنفسنا ولا السيطرة والسلطان فيما يرضي الله ولا الطاعة قد عودنا عليها حواسنا وشهواتنا، وبعد ذلك نذكر بألسنتنا دون قلوبنا، وبأفواهنا دون أفعالنا: يا ملك يا قدوس برحمتك نستغيث!!!

فكيف يستجاب لنا؟

وكما أن رابطةً قوية.. وكما أن سلطانًا باهرًا.. وكما أن معنًى محترمًا للملك في عالم التخلّق، فإن الله هو مالك الملك في عالم التعلّق، ويمكن لك أن تلتجئ إليه وأن تُلح في الدعاء، أو أن يشغلك ذكره عن مسألته؛ فيعطيك أحسن ما يعطي السائلين...

يمكن أن تتعلق به فيما نحن فيه من ورطة؛ فهو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء، سواء أكان كافرًا أو مؤمنًا، عادلاً أو ظالمًا، فمرة يجعل الملك منحة، ومرة يجعل الملك محنة ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ولكن تعلَّق أيها المؤمن بصفة الملك.. تعلَّق بها بقلبك وبلسانك، في ذكرك وفي دعائك، وقف عند شروط الاستجابة؛ حيث لا يحب الله من يتكلم بفمه ويخالف فعله قوله ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

فيا أيها الناس.. هذا اسم من أسمائه تعالى، عيشوا فيه وفي ظلاله

اللطيفة.. عيشوا فيه وقوموا بشأنه وتخلقوا بأخلاقه وتعلقوا بآثاره، ثم بعد ذلك سموا الله به كما سمىٰ به نفسه، والله له المالكية وله المُلكية المطلقة الكاملة؛ فهو المالك المَلك المليك الكامل.

إيمانٌ بالله، وتصديقٌ برسول الله ﷺ، وعملٌ في طريق الله..؛ فاللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وادعوا الله....

الحمد لله حمد الشاكرين له، الواقفين علىٰ بابه حتىٰ يرضىٰ عنا، ويفتح علينا فتوح العارفين به، ويعلمنا الأدب معه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ونبيه وحبيبه..؛ فاللهم جازه عنا خير ما جازيت نبيًا عن أمته، وصل اللهم عليه وعلىٰ آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، وأتباعه الأخيار، إلىٰ يوم أن نلقاك يا رب العالمين.

أما بعد: فيا عباد الله هذه أيام فضيلة، سنّ فيها رسول الله ﷺ الإكثار من الأعمال الصالحة[1]، وهي أفضل أيام العام، كما أن ليلة القدر أفضل ليالي العام، وفيها يُنزل الله الرحمات والنفحات والواردات والأنوار، ويتقبل الدعاء والعبادة والذكر والتلاوة والصلاة والصيام والصدقة وسائر الأعمال...

عليكم أن تسارعوا بفعل الخير فيها عسىٰ الله ﷻ أن يطّلع علىٰ قلب أحدكم ويستجيب له الدعاء فيوحّد قلوب أمة محمد ويعيد للإسلام عزَّهُ

(١) أخرج البخاري: كتاب العيدين- باب فضل العمل في أيام التشريق: ٣٨٣/٢، برقم ٩٢٦ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ الْعَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ». قَالُوا: وَلاَ الْجِهَادُ؟ قَالَ: «وَلاَ الْجِهَادُ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيءٍ».

وللمسلمين نصرتهم ويرجع لنا المسجد الحرام المقدس، ويزلزل الأرض تحت أقدام من أفسدوا في الأرض وطغوا وبغوا وقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، واغتصبوا أرضنا وقتلوا أطفالنا ونساءنا وشيوخنا وشبابنا..

والله ﷻ قادر على أن يرينا فيهم عجائب قدرته ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤-١٥] يا رب العالمين.

* * *

أما بعد: عباد الله..

يوافق العيد هذا العام يوم الجمعة، وقد ورد في الحديث ما يفيد أنه يجوز لك إذا ما صليت العيد أن تترك صلاة الجمعة وتصليها ظهرًا[1]، لكن هذا على سبيل الجواز، وإكثار العبادة في هذه الأيام الفضيلة إنما هو من شأن العقلاء؛ ففي يوم الجمعة سوف نصلي العيد إن شاء الله تعالى، ثم نُجمّع[2] بعد ذلك في نفس اليوم انتهازًا لفرص تلك الأعياد عند الله، وتعرضًا لنفحاته ورحماته وتنزّلاته؛ فإن لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله كما أرشد سيدنا رسول الله ﷺ[3].

---

(١) وذلك لما رواهُ إِيَاسِ بْنِ أَبِي رَمْلَةَ الشَّامِيِّ قَالَ: شَهِدْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ يَسْأَلُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ قَالَ: أَشَهِدْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِيدَيْنِ اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ صَنَعَ؟ قَالَ: صَلَّى الْعِيدَ ثُمَّ رَخَّصَ فِي الْجُمُعَةِ فَقَالَ: «**مَنْ شَاءَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيُصَلِّ**». أخرجه أبو داود: الصلاة- إذا وافق يوم الجمعة يوم عيد: ١/٣٤٨ برقم ١٠٧٠.
وروى البخاري: كتاب الأضاحي- باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي: ٥٢٥١ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: ثُمَّ شَهِدْتُ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَصَلَّى قَبْلَ الْخُطْبَةِ ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ قَدِ اجْتَمَعَ لَكُمْ فِيهِ عِيدَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْتَظِرَ الْجُمُعَةَ مِنْ أَهْلِ الْعَوَالِي فَلْيَنْتَظِرْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْجِعَ فَقَدْ أَذِنْتُ لَهُ**».

(٢) أي نصلي الجمعة.

(٣) «**اطْلُبُوا الخَيْرَ دَهْرَكُمْ وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ، فَإِنَّ للهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُم وَيُؤَمِّن رَوْعَاتِكُم**»، وقد سبق تخريجه.

عيد الناس إنما يكون في الاقتصار على اللهو، وعيدنا نفزع فيه إلى العبادة بكل صورها..

عيد الناس يكون فيه نوع من أنواع التروح وحسب، وعيدنا يكون فيه مع ذلك نوع من أنواع الالتجاء.. فرصة في أفاضل تلك الأيام وفضلها عليم شهير.

ويحرم عليك أيها المؤمن أن تصوم يوم العيد فإن الله قد أمر بإفطاره ونهى عن صيامه[1]، ويحرم أن تصوم أيام التشريق الثلاثة التي بعد العيد[2].

فأيام أربعة حرام عليك صيامها: العيد وأيام التشريق.

ومن أراد أن يضحي فعليه أن يمتنع عن قصِّ شيء من شعره وظفره كشأن المحرم؛ تذكّرًا لإخواننا الذين قد التجَأوا إلى البيت الحرام حاجّين ومعتمرين قاصدين الخروج من ترف الدنيا إلى عظمة مولاهم وجواره وضيافته، فعليك أن تترك الحلق -وهو سنة، وأن تترك قلم الظُّفر، وهو سنة- ونحن في اليوم الثالث من ذي الحجة؛ فمن كان يريد الأضحية فليمتنع عن ذلك.

أما الذي لا يريد أن يضحي هذا العام فلا بأس عليه أن يأخذ شيئًا من شعره أو ظفره، وهذا كله قد ورد في الحديث الصحيح[3] وإن تعجّب كثير من الناس على هذا الحكم لعدم علمهم به.

---

(١) أخرج مسلم: كتاب الصيام- باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى: ٢/١٥٣، برقم ٢٧٣٠. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «نَهَى عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ النَّحْرِ».

(٢) أخرج البخاري: الصوم- صيام أيام التشريق: ١٨٩٤ عن عائشة وعن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهم قالا: «لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ إِلاَّ لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ». يعني من الحجاج، أما سواهم فلا يصوم كما سبق.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلاَ يَمَسَّ مِنْ شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا». كتاب الأضاحي- باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة، برقم ٥٢٣٢.

إذن فهو من السنن التي إذا أحياها المسلم كان له أجرُها وأجر من اتبعها إلىٰ يوم الدين[1]، فأحيوا سنة نبيكم فيكم وتمسكوا بها حتىٰ وإن كانت سنة وحتىٰ وإن لم تكن فرضا وحتىٰ لو كان فيها شيء من التكليف..

نريد أن نغسل أنفسنا من حوبتنا وآثامنا وما نحن عليه لله رب العالمين، وأن نتوب إليه صادقين عسىٰ الله أن يوفقنا إلىٰ ما يحب ويرضىٰ.

أيها الناس.. هذه أيام خير فعليك بذكر الله بالليل والنهار، وعليكم بالإكثار من الصلاة علىٰ النبي المصطفىٰ والحبيب المجتبىٰ ﷺ، لا تقلّ صلاتك عليه عن ألف مرة في اليوم حبًّا فيه وطاعةً لربكم، وإنزالاً له ﷺ المنزلة التي يستحقها؛ عسىٰ الله أن يفتح به قلوبًا غلفا، وآذانًا صمّا، وأعينًا عميا؛ فليس بعد حب رسول الله ﷺ من إيمان، وهو مفتاحنا إلىٰ ربنا ﷻ، فصلّوا عليه وسلموا تسليما، ولتلهج ألسنتكم بالصلاة عليه بالليل والنهار، وعلّموا أولادكم الصلاة عليه مفتتح كل شيءٍ ذي بال[2]، فهو ﷺ الواسطة بين الحق والخلق.. هو خاتم النبيين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين..

عليكم بالقرآن، فمن استطاع أن يسمعه أو أن يقرأه في تلك الأيام وأن يختم ختمة فهو موفق، وعليكم بالصلاة بالليل فإن الصلاة بالليل تنوّر القلوب وتلقي عليكم القبول.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة- باب الحث على الصدقة: ٢/٧٠٤، برقم ١٠١٧، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ أَقْطَعُ». أخرجه ابن ماجه: كتاب النكاح- باب خطبة النكاح: ١/٦١٠، رقم ١٨٩٤.

أيها الناس.. استغفروا ربكم بالليل والنهار ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٣].

أيها الناس.. ادعوا للأمة أن يوحد الله كلمتها وأن يمكنها في الأرض كما مكّن الذين من قبلنا، لتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر ولك عاقبة الأمر كله يا رب العالمين.. اللهم اغفر لنا ذنوبنا.....

الْـقُــدُّوسُ

من أفكار الخطبة:

١- من معاني اسمه تعالى (القُدُّوسُ).

٢- طَهِّر قلبك من السِّوى.

٣- آثار التخلُّقِ بهذا الاسم من أسمائه تعالى.

الْقُدُّوسُ

أما بعد:

فمع أسماء الله الحسنىٰ في تلك الأيام التي هي أيام ذكر لله ﷻ، ومع اسمه القدوس، وهو من القُدْس في وزنٍ نادر من أوزان العربية (فُعُّول) مثلها: سُبُّوح، وكان النبي ﷺ يحب أن يقول: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ**»[1]. يكثر منها في ركوعه وسجوده، و(قُدُّوس) وهي من القدس، والقدس: النزاهة والطهارة[2]؛ فهي تعني في حقه تعالىٰ أنه هو المُنَزَّهُ عن كل نقصٍ وعن كل ما يخطر في بال؛ فالرب رب والعبد عبد.

ربنا ﷻ له العلياء، وهو ﷻ منزه عن كل النقائص، وهو مخالف سبحانه تعالىٰ للحادثات وللبشر، ليس كمثله أحد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، يقول عن نفسه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤] ﷻ لا مثيل له ولا ندّ له، ﷻ كامل في صفاته.. كامل في ذاته.. كامل في أفعاله، ومن عرف حقيقة اسمه (القدوس) لا يتخيل نقصًا في جانبه، ولا يرتاب في قلبه في قدرته؛ فهو ﷻ القادر القدير المقتدر، وهو ﷻ الملك

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة- باب ما يقال في الركوع والسجود: ١/٣٥٣، رقم ٤٨٧ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ**».

(٢) التَّقْدِيسُ: تنزيه الله ﷻ. وفي التهذيب: القُدْسُ تنزيه الله تعالىٰ، وهو المتَقَدَّس القُدُّوس المُقَدَّس. ويقال: القُدُّوس فَعُّول من القُدْس، وهو الطهارة. لسان العرب: قدس.

المالك المليك.. مالك الملك لا إله إلا هو.

«**القُدُّوس**» كلمة لو تأملها المتأملون ما وصفوا الله ﷻ بما لا يليق بجلاله جل جلال الله! فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك؛ توحيد خالص ونسبة مطلقة لكل أنواع الكمالات التي لم ترد على ذهن الإنسان في حق الله تعالى..؛ فعليك أيها الإنسان أن تحرر عقيدتك في الله؛ بأن تعلم أنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأنه رب الأكوان وأنه على كل شيءٍ قدير، وأنه ﷻ يقبل التوبة عن عباده، وأنه هو الغفور الرحيم، وأنه هو المحيي المميت، وأنه هو الرزّاق ذو القوة المتين، وأنه ﷻ يستحق منك كل إجلالٍ وخضوعٍ واستسلام، فأنت في حاجة إليه وهو ليس في حاجة إلى أحدٍ ولا إلى شيء.

«**القُدُّوس**» تطَّهر وتنزَّه ﷻ عن كل شيءٍ يخطر في البال..

كيف يتأدب العبد بهذا الأدب؟ وكيف يتخلق بذلك الاسم؟ ذلك مع نفسه ومع الناس ومع الأكوان ومع الله ﷻ، أما مع نفسك فبأن تقاوم الشهوات وأن تخرج من قلبك المعاصي وأن تنوي مع الله ﷻ الطاعات، قدّس نفسك. قدّس نفسك ظاهرًا وباطنًا.

أمرنا ربنا ﷻ بذلك التقديس وبذلك التطهر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧]، أمره أن يتطهر في بدنه وأن يتطهر في ثوبه وأن يتطهر في مكان عبادته، فكان ذلك من شروط الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه: أن تتطهر في بدنِك، وأرشدنا الله ﷻ إلى كيفية التطهر، وأمرنا أن نذهب فنغسل أعضاءً مخصوصة بنيةٍ مخصوصة من أجل هذه الصلاة فيما أسميناه بالوضوء، وأمرنا عند مخالطة الأزواج أن نتطهر بالاغتسال، وعلمنا رسول الله ﷺ كل شيء

حتىٰ آداب الخلاء..... وضّح لنا كيف نطهر أجسادنا من الأنجاس ومن الأحداث، وكيف نطهر ثيابنا، وكيف نطهر مكان صلاتنا؛ فنكون من المتطهرين التوابين الذين يحبهم الله تبارك وتقدس..

ولما دخل أعرابيٌّ المسجد -وهو حديث عهدٍ بالإسلام- فقام يبول في طرف المسجد؛ ظانًّا أنه يفعل كما يفعل في صحرائه الفسيحة التي لا يحدّه فيها أحد ولا يكلفه بشيءٍ فيها مكلِّف..،

كان رسول الله ﷺ أرأف الناس به؛ حيث قام فعلمه وقال: «أهريقوا عليه ذَنُوبًا من ماء»[1] -والذَّنوب هو الدلو، والمعنىٰ: أريقوا عليه بعض الماء- فإن الماء يطهره، ويقول الأعرابي: فوالله ما وجدت أرأف من رسول الله ﷺ بي.

طهارة ظاهرة نطهر فيها أبداننا من الأنجاس والأحداث وثيابنا ومكان طهارتنا وصلاتنا، وكأن الإسلام بُني علىٰ النظافة.. لكن النظافة الظاهرية لا تكفي وهي فرض من فروض الدين ولا تتم الصلاة إلا بها، إلا أن المقصود الأهم هو طهارة الباطن.. هو طهارة القلوب.. هذه الطهارة التي تجعلك متوكلاً علىٰ الله.. رحيمًا بخلق الله.. كريمًا فيما أوجده الله تحت يدك وأسماه مماملكك ووهبك،وهو في الحقيقة مِلك الله..

تكون الدنيا في يدك ولا تكون في قلبك أبدًا.

تطهَّر من الدنيا، وتطهر من المعاصي، وتطهَّر من الشهوات، بل وتتطهر أيضًا من النظر إلىٰ الطاعات فلا تجعلها إلا لوجه الله، لا تظهر الطاعة أمام

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء- باب صب الماء على البول في المسجد: ١/٥٤، رقم ٢٢٠. عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا -صبوا- عَلَىٰ بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ».

الناس تريد بها وجه الناس؛ فحتىٰ هذه لا يقبلها الله فهو «**أغنىٰ الأغنياء عن الشرك**»[1].

أمرنا أن نطهر باطننا وأن نستقبل هذا العالم الذي حولنا من أُناس وأقوام تسبح ربها بكونها وتسجد لربها بكونها- أن نستقبله استقبال المحبين له الراجين له بالنجاة الراحمين من في الأرض حتىٰ يرحمنا من في السماء، والنبي ﷺ يقول: «**ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[2].

القداسة الداخلية والتطهير الداخلي يعلمك التوكل علىٰ الله، ويعلمك حمد الله، ويعلمك الصبر علىٰ البلاء، ويعلمك الرضا بالقضاء.

ربنا ﷻ يقول لنا في مجال الحس: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أمرنا عند هذا الشيء الذي وصفه بأنه أذىٰ أن نبتعد عن النساء، أي: الأزواج، يعني: عن معاشرتهن.

كانت اليهود تبتعد عنهن في المأكل والمشرب والمنام[3] فالنبي ﷺ يقول لأبي هريرة رضي الله عنه وقد رآه وهو جنب فاختفىٰ أبو هريرة ثم جاء فقال له: «أين ذهبت يا أبا هريرة» قال: كنت جنبًا يا رسول الله فاغتسلت وجئت- ظن

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق- باب من أشرك في عمله: ٤/٢٢٨٩، رقم ٢٩٨٥.

(٢) أخرجه أبو داود: ٤/٢٨٥، رقم ٤٩٤١، والترمذي: كتاب البر والصلة- باب ما جاء في رحمة المسلمين: ٤/٣٢٣، رقم ١٩٢٤ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم: كتاب الحيض- باب الدليل علىٰ أن المسلم لا ينجس: ١/٢٨٦٣، رقم ٣٧١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ لَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ فَانْسَلَّ فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ، فَتَفَقَّدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقِيتَنِي وَأَنَا جُنُبٌ فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ حَتَّى أَغْتَسِلَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يَنْجُسُ».

أبو هريرة على ما كان يظنه الناس من أثر كلام اليهود أن الجنب يكون نجسًا ويجب اجتنابه؛ فخاف أن ينجس يد رسول الله ﷺ إذا صافحه فذهب فاغتسل وجاء- فقال له سيدنا رسول الله ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يَنْجُسُ». يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ فالطهارة الأولى من دم الحيض، والتطهر إنما هو بالاغتسال ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ويتكلم عن الطهارة الباطنية التي هي نقيض الكفر والفسق والعصيان والنفاق، يقول ربنا ﷻ في ذلك المسجد الذي بنوه كفرًا ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [التوبة: ١٠٧]، يقول: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٨-١١٠] ذهب رسول الله ﷺ إلى مسجد قباء عندما نزلت الآية وكشف الله وفضح المنافقين، وأثنى على المتطهرين، انطلق النبي ﷺ حتى قام على باب مسجد قباء، وفيه المهاجرون والأنصار، فقال النبي ﷺ لأهل المسجد: «أَمُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ؟»، فسكتوا فلم يجيبوه -فسكتوا حياءً أن يواجهوا رسول الله ﷺ بإعلان الإيمان، فالله أعلم بما في قلوبهم، يستحيون من الله ورسوله ﷺ ويجلونه ويعظمونه في أنفسهم- ثم قال ثانية: «أَمُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ؟»، قال عمر بن الخطاب: نعم، فقال النبي ﷺ: «أَتُؤْمِنُونَ بِالقَضَاءِ؟»، قال عمر: نعم، فقال النبي ﷺ: «أَتَصْبِرُونَ عَلَى البَلاءِ؟»، قال عمر: نعم،

فقال النبي ﷺ: «أَتَشْكُرونَ عَلَى الرَّخَاءِ؟»، فقال عمر: نعم، فقال النبي ﷺ: «أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ»، وقال النبي ﷺ للأنصار: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ فِي أَمْرِ الطُّهُورِ، فَمَاذَا تَصْنَعُونَ؟»، قالوا: نُمِرُّ الماء على أثر البول والغائط، فقرأ النبي ﷺ هذه الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[1].

فدل ذلك على أن هذا التطهر لم يكن واقفًا عند الحس، إنما كان تطهُّرًا من الكفر والفسوق والعصيان ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

اسمه «**القُدُّوس**»: تأمل وتدبر فيه، وقدّس نفسك من المعاصي، تخيل نفسك صفحةً بيضاء فلا تسجّل فيها ما يسودها ولا تنكت فيها نُكتًا سوداء تأتي بها يوم القيامة، تذكَّر اسمه ﷻ القدوس، وقدّس صحيفتك حتى يرضى الله عنك، وحتى يستجيب الله دعاءك، وحتى يقبل الله ذكرك، اذكر باسمه القدوس وأنت تستحضر هذه المعاني: معاني الانخلاع من الدنيا، ومعني الانخلاع من المعصية ومن الشهوات ومن الأفعال التي ليست لوجه الله تعالى...

والقلب لا يخلو أبدًا؛ فإن أنت خلَّيته من تلك الأشياء وتلك المصائب نوّره الله ﷻ، وفتح عليك فتوح العارفين به، وجعل قلبك معلقًا بعرشه، وجعل عقلك معلقًا بذاته، وجعل نفسك معلقةً بهذا الدين الحنيف وبنبيه المصطفى

(١) قال مقاتل: ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾، من الأحداث والجنابة، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة، آية: ١٠٨]، نزلت في الأنصار. فلما نزلت هذه الآية، وذكر الحديث. وقد تناقله أهل التفسير، والحديث رواه الطبراني في الكبير، مسند ابن عباس: ١١/١٥٣ برقم ١١٣٣٦.

وحبيبه المجتبىٰ ﷺ حتىٰ لا يغادرك معنىٰ هذا أبدًا، فتسير في بحبوحةٍ من الأنوار، وفي وارف من الظلال، وتعلم أنك قد انخلعت بالكُلِّية لوجه الله، حتىٰ ولو كانت الدنيا كلها بين يديك فإنما الانخلاع إنما يكون من القلب..

فالله ﷻ هو القدوس، فتحققوا باسمه القدوس يرحمكم الله وادعوا ربكم.

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ونبيه وصفيه وحبيبه بلّغ الرسالة فما قصَّر، وأدىٰ الأمانة حتىٰ أتاه اليقين، فصلّىٰ الله عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله.

أما بعد؛ فيا عباد الله هذه أيام ذكرٍ وتقوىٰ ونفحات وعيد في السماء، فادعوا ربكم بالليل والنهار وكبّروه في الصبح والمساء، وحافظوا علىٰ الصلوات وافعلوا الخيرات، وأكثروا من الصدقات..

فاللهم يا ربنا يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم يا ملك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهين يا عزيز يا جبار يا متكبر يا خالق يا بارئ يا مصوّر يا من له الأسماء الحسنىٰ ندعوك يا ربنا يا عزيز يا حكيم يا عليم يا لطيف أن ترحمنا وأن تغفر لنا وأن تنور قلوبنا...

السَّـــلامُ

من أفكار الخطبة:

١- من معانى اسمه تعالى (السلام).

٢- المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

٣- بين السلام والجهاد.

٤- السلام في الإسلام وفي المفهوم الغربي.

السَّلامُ

أما بعد:

فمع أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا ﷻ؛ يأتينا اسم «**السَّلام**» فهو ربنا ﷻ السلام، وكلمة «**السَّلام**» يجوز أنها من السلامة، ومعنىٰ الاسم أنه ﷻ ذو سلامة منزه عن الآفات والنقصان..

«**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ تَبارَكْتَ يا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرامِ**»[1].

العرب تقول: الرَّضاع، وتعني: الرضاعة، وتقول السلام، وتعني: السلامة، فقد يكون الاسم الكريم إنما معناه في السلام الذي سلّم عباده وأصفياءه وأولياءه وأنبياءه من النقصان أو من المعاصي أو من الشهوات أو من حب الدنيا، فهو ﷻ السلام.

أو قد يكون معنىٰ الاسم: أنه الذي يرسل الأمن علىٰ عباده المؤمنين، وسيأتينا بعد ذلك اسمه (المؤمن) فهو يؤمّن المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة؛ ينزل عليهم في الدنيا سكينته، وينزل عليهم في الآخرة رحمته، ويدخلهم الجنة من غير حساب ولا سابقة عقاب ولا عتاب.

وقد يكون اسمه تعالىٰ السلام يعني كل ذلك -ولا بأس به- فهو ﷻ له الكمال والجلال والجمال.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد- باب استحباب الذكر بعد الصلاة: ١/٤١٤ برقم ٥٩١ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ».

جعل الله ﷻ السلام اسمًا له يتعبد المسلم بذكره، فنقول في اللغة العامية إذا رأىٰ ما يعجب: (يا سلام)، ويقوله المسلم عند رؤيته العجب في خلق الله أو في فعل البشر، ويتوسل به إليه المسلم في كل حين ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

جعله الله ﷻ عنوانًا علىٰ التحية بين المسلمين؛ فإذا قابل أحدهم أخاه ألقىٰ عليه السلام ويقول له: (السلام عليكم) وجعل رسولنا المصطفىٰ وحبيبنا المجتبىٰ ﷺ - السلام وإلقاءه سنة، والبدء بالسلام سنة إلا أنه قد جعل الردّ عليه واجبا؛ فإذا ألقىٰ أحدكم السلام علىٰ أخيه فيجب عليه أن يرد، حتىٰ إذا كان مشغولاً بما يحول بينه وبين الردِّ ردّ السلام بعد فراغه فرد السلام واجب جعله الله ﷻ عنوانًا علىٰ الانتهاء من الدعاء والصلاة...

والصلاة صلة بين العبد وربه، يختمها أحدنا يقوله (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) عن يمينه وعن شماله، وكأنه يستقبل الناس أجمعين وملائكة الرحمن ﷻ والدنيا من بعد صلته بالله بهذه الكلمة التي صارت عنوانًا علىٰ منهاج المسلم في حياته...

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» جعلها الله ﷻ عنوانًا علىٰ الصلة بين المؤمن وبين رسوله الكريم، فما من أحدٍ يصلي علىٰ سيدنا رسول الله ويسلم عليه ﷺ إلا ردَّ الله عليه روحه فيرد عليه سلامه، والأنبياء أحياء في قبورهم شاهد النبي ﷺ موسىٰ يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر ليلة الإسراء[1].

ونبينا ﷺ تعرض عليه أعمالنا يوم الاثنين والخميس -كما ثبت في

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل- باب من فضائل موسىٰ: ٤/١٨٤٢ برقم ٢٣٧ منْ حديث أَنس بن مَالِك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ -وَفِي رِوَايَةِ هَدَّابٍ: مَرَرْتُ- عَلَىٰ مُوسَىٰ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ».

الحديث الصحيح- فإن وجد خيرًا حمد الله وإن وجد غير ذلك استغفر لنا[1]، والنبي ﷺ هو قائد الغرّ المحجّلين، وهو خاتم المرسلين، وهو حبيب رب العالمين، وهو الذي من أجله خلقت هذه الدنيا، لأنه هو صاحب التوحيد، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وصاحب الكلمة الأخيرة للبشر؛ فالعنوان بين الناس وبينه إنما كان على الصلاة والسلام.

جعل الله السلام عنوانًا لخضوع المؤمن لله ورسوله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

جعل الله ﷻ السلام عنوانًا على رحمته بأصفيائه وأوليائه إلى يوم الدين ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] جعله الله ﷻ عنوانًا على الأمن ضد الحرب والقتال ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [النساء: ٩٤].

«**السلام**» اسم من أسمائه تعالى لكنه معنى، مَن أدركه من المؤمنين يتخلق به، وهو أنه يعيش في سلامٍ مع نفسه، وفي سلامٍ مع الناس، وفي سلامٍ مع الكون، وفي سلامٍ مع ربه؛

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده عن عبد الله بن مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ، وَمَا كَانَ مِنْ سَيِّئٍ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُمْ». قال السيوطي: أخرجه الحارث كما في بغية الباحث: ٨٨٤/٢ رقم ٩٥٣، ومن حديث عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ» أخرجه النسائي: ٤٣/٣، برقم١٢٨٢، وابن حبان: برقم٩١٤، والحاكم: برقم٣٥٧٦ وقال: صحيح الإسناد.

أما السلام الذي مع الرب سبحانه وتعالى فبطاعته وعبادته وحده لا شريك له، نطيعه كما أمر، نستحسن ما استحسن، ونستقبح ما استقبح، ونعُدّ من الخير ما عدّه من الخير، ونعُدّ من الشر ما عَدّه من الشر، ولا تختلط علينا الأوراق بلحن لاحن، أو لسان منافق، أو بكلام كافر، لا تتعمىٰ علينا الدنيا ولا مفاهيم الرب سبحانه وتعالى، فنظرة الإسلام إلىٰ الجهاد في سبيل الله تنبع من حماية الحق إقرارًا للسلام؛ فالجهاد هو عين السلام.. فنحن لانحارب من أجل الحرب، فالإسلام يرىٰ أن أذية الناس ليست من السلام؛ فالإفساد في الأرض ليس من السلام.

«اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»[1].

السلام أيها الناس عطية الله، ولا يُمنح ولا يُطلب ولا يستجدىٰ من دون الله؛ فمن طلب من الآخرين السلام استذلوه، فالسلام شعور عند المسلم يمنحه للناس، يده فيه هي اليد العليا؛ يقول رسول الله ﷺ: «الْإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَىٰ عليه»[2].

جعل الله من هذه المادة التي تفيد كل هذه المعاني: الإسلام؛ فهو مشتق من السلام؛ فإذا كان الله قد جعل السلام ديننا، وتحيتنا، والعلاقة بيننا وبينه، وبيننا وبين رسولنا الكريم، والعلاقة بيننا وبين أنفسنا وبين الناس والكون أجمعين- تحت عنوان السلام؛ فلابد علينا من أن نتأدب به فلا يؤذي أحدنا جاره ولا يؤذي أحدنا مسلمًا من المسلمين بأي شكل من الأشكال، يقول رسول الله ﷺ وهو يُعرِّف المسلم: «الْمُسْلِمُ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة- باب اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلاَةِ: ١/٤١٤ برقم ٥٩١.
(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة- باب من انتظر حتى تدفن: ٢/٩٢ برقم ١٣٥٤.

مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[1]، ومن سالمنا سالمناه وإذا المسلم قاتل في سبيل الله فإنما يقاتل من أجل إقرار السلام، ومن أجل أن يأخذ على يد المفسدين في الأرض الذين يبغون فسادًا عريضًا.

السلام أيها المؤمنون لا يُستجدى؛ السلام يمنح..

السلام لو فهم المسلم حقيقته لتوحدت الأمة لأن فيه عطاء؛ فإذا أعطَيت جارك وحبيبك وأخاك السلام- فأنت محب له؛ جعل النبي ﷺ السلام نهايةً للخصام وقال: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ»[2].

السلام معنى يعيشه الإنسان طوال يومه وطوال أسبوعه وطوال حياته، لكنه ليس هو الخذلان، لكنه ليس هو الاستكانة، وهؤلاء أعداء الله هنا وهناك في كل مكان يذبّحون المسلمين ويطلبون منهم الاستكانة، والله ﷻ فرض على المسلمين الجهاد في سبيله.. يسترخص أحدنا حياته في سبيل إقرار السلام في العالم.

أيها المسلم ارفع رأسك عاليًا ولا تتزعزع ولا تتشكك أن دينك هو دين السلام، واعلم أن السلام يحتاج إلى قوة تحميه ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري: كتاب الإيمان- باب أي الإسلام أفضل: ١١، ومسلم: كتاب الإيمان- باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل: ٤١ عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري: كتاب الأدب- باب الهجرة وقول النبي ﷺ: لا يحل..: ٥٨٨٣، ومسلم: كتاب البر والصلة- باب تحريم الهجر فوق ثلاث بغير عذر شرعي: ٥٧٢٧، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

إذن قضية الإرهاب لعدو الله، والإخافة لمن تجاوز حدوده وابتغىٰ الفساد في الأرض، قضية مهمة للمسلم ابتغاء السلام. والإرهاب في ديننا شيء آخر غير الإرجاف[1].

فابدأ بنفسك ثم بمن تعول.. أشِع السلام في أهلك وبيتك ومنزلك ومَن حولك، واجعله منهاج حياة.. لا تُؤذِ خلق الله حتىٰ الجماد.. تعامل مع الكون بسلام؛ سلام العزة.. سلام هو اسمه تعالىٰ سبحانه.

اذكروا الله بالليل وبالنهار باسمه السلام.. عيشوا فيه، فإن أسماء الله الحسنىٰ هي الهيكل الأخلاقي والمنهج الرباني الذي أراد الله أن نعلم منه كيف نعيش.. وكيف نكون متأدبين مع الله... وادعوا ربكم...

الحمد لله.. والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه أشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله..؛

اللهم صل وسلم عليه في العالمين وصل وسلم عليه في الأولين وصل وسلم عليه في الآخرين وصل وسلم عليه أبدًا يا رب العالمين.

أما بعد: قال الله ﷻ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩].

السلام.. ابدأ بما تستطيعه الآن بأن تسالم المسلم، وأن يكون بينك وبينه علاقة السلام، ويروىٰ عن أحد الصالحين -وكان يقال له بُهلول- وبُهلول

(١) الإرجاف ترويع الآمنين، واعتداء على حقوق الآخرين، والإرهاب في الإسلام قوة رادعة تحفظ السلام بالحق والعدل. وشيخنا -حفظه الله- كثيرًا ينادي باستبدال مصطلح الإرجاف بالإرهاب.

في لغة العرب: كريم؛ لأنه كان كريمًا محبًا رحيمًا بالناس، وكان -لأنه ينكفُّ عن الدنيا وسلطانها وشهواتها- يراه بعض الصبيان وكأنه يستحق الاستهزاء فيضربونه بالحجارة، فيقول لهم: وإن كان ولابد فبصغارها حتىٰ لا أغسل الدم! فعابوه في ذلك وقالوا له: ألا تضربهم، قال: أحب أن آتي يوم القيامة ولم أمنعهم من فرحٍ أرادوه!

لا يريد أن يصدّ الأطفال حتىٰ ولو دُخل الفرح علىٰ قلوبهم بأذيته..!!

والله ﷻ عندما ذكر نبيه يحيىٰ عليه السلام قال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥].

ونطق عيسىٰ عليه السلام لأولئك الكفار يعلمهم فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]، فانظر إلىٰ السلام الذي يريده الله أن يكتنف عباده المؤمنين من أول الولادة إلىٰ أن يلقوه.

السلام أمر مهم.. وينبغي عليك أن تتتبع موارده في الشرع الشريف، وترىٰ معناه وتقوم به.. فاللهم اغفر لنا ذنوبنا...

فهرس المحتويات

الموضـوع	الصفحة
مقدمة	٧
وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ	٩
سجودٌ وتسبيحٌ في الْحَرَكَةِ والسُّكُونِ	٢١
التِمَاسُ الهُدَىٰ من خُطْبَةِ الْحَاجَةِ	٢٩
أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ	٣٧
مَوَاطِنُ قَبُولِ الدُّعَاءِ	٤٧
نَفَحَاتٌ إِلَهِيَّةٌ وَمِنَحٌ صَمَدَانِيَّةٌ	٥٥
الْعَشْرُ الْمُنْجِيَاتُ (١) وَطَرِيقُ الْعَوْدَةِ	٦٩
الْعَشْرُ الْمُنْجِيَاتُ (٢) وَدَوَامُ الْهِجْرَةِ	٧٩
الْمَلِكُ	٩١
القُدُّوسُ	١٠٣
السَّلامُ	١١٣
فهرس المحتويات	١٢٣

تحت الطبع

كتاب

في جزئين

من إصداراتنا

كتب:

د. علي جمعة:

* الكامن في الحضارة الإسلامية.
* الطريق إلى الله.
* خطب الجمعة (سلسلة الوحي والقرآن).
* خطب الجمعة (التربية والسلوك).
* تيسير النهج في شرح مناسك الحج.
* فتاوى القرن الجديد.
* خطب الجمعة (سلسلة النبي ﷺ).
* المنح الإلهية في شرح الحِكَم العطائية.

الشيخ/ أحمد صالح:

* مفتاح السِّير من حياة خير البشر ﷺ.

المستشار/ مصطفى سعفان:

* ورقات في الإصلاح.
* ملامح التجديد في النهوض بالطريقة الصوفية.

د. مصطفى البدوي:

* لطائف الإشارات في أسرار المآذن والمنارات.
* علامات آخر الزمان بين العولمة والإرهاب.

الشيخ/ حسنين مخلوف:

* شرح أسماء الله الحسنى والآيات الكريمة الواردة فيها.

اسطوانات:

* سلسلة الحكم العطائية.
* سلسلة الخطب.
* نفحات رمضانية (cd).
* سلسلة إحياء علوم الدين.
* محاضرة الإفتاء بين الفقه والواقع.
* سلسلة محاضرات منازل السائرين.

كاسيت:

د. علي جمعة:

* سلسلة محاضرات منازل السائرين. (٨ شرائط).
* خطب: ١- غارات تبشيرية. ٢- جاءت اللجنة وذهبت.
٣- قرآن الحق وفرقان الباطل. ٤- إنا كفيناك المستهزئين.
٥- ماذا بعد رمضان. ٦- جاءت اللجنة وذهبت.

إصدارات البرامج:

د. علي جمعة:

* الحكم العطائية (فيديو). * نفحات رمضانية (صوت).
* موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (فيديو).
* النبراس (صوت). * شرح الزبد (صوت).
* السلسلة النورانية في التربية الربانية. (فيديو).
* منازل السائرين (صوت). * فقه السيرة (فيديو).
* الخطاب الديني (فيديو). * القيم (فيديو).
* الإدارة في الإسلام (صوت). * السنن الإلهية في القرآن (فيديو)
* عوائق الوحدة الإسلامية (فيديو). * أصول الفقه الحضاري (فيديو).
* الإفتاء بين الفقه والواقع (فيديو). * المدخل إلى التصوف (فيديو).
* التصوف وتحديات العصر (فيديو). * أسماء الله الحسنى (صوت).
* رسول الله يسأل رسول الله (فيديو). * محطات للتذكرة (فيديو).

محاضرات:

د. علي جمعة:

١- الكامن في الحضارة الإسلامية.
٢- الإفتاء بين الفقه والواقع.

www.alimamalallama.com

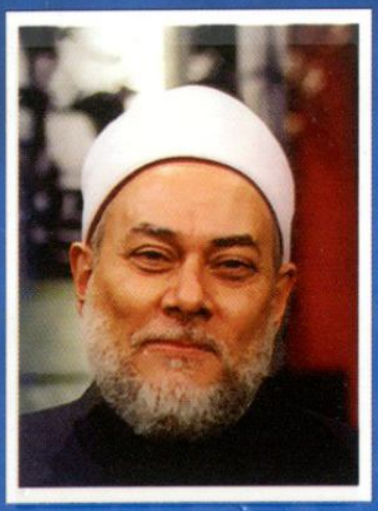

فضيلة الإمام العلامة نور الدين

علي جمعة

مفتي الديار المصرية

هذا الكتاب

يمثل صفوة من القول. تصف خلاصة تجربة مولانا العلامة نور الدين/ علي جمعة التي جسدها في منهج تربوي. له أسس عميقة لتصحيح انحرافات البشر. وتعصم المسلم من تتبع سنن الإثم الماضية في الاعتقادات والعبادات والمعاملات.

ورسم دستور يصنع النصر في النفوس فيفيض منها إلى واقعها الملموس. لإدراك المقاصد الشرعية الكبرى.

وحول هذه المحاور يدور الجزء الأول من سلسلة كتب خطب الجمعة من معين الإمام العلامة/ علي جمعة مفتي الديار المصرية وعلومه.

ولا تزال المسيرة موصولة مع كتب ومؤلفات سماحة مولانا الإمام/ علي جمعة حفظه الله.

الناشر

الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر

تراثنا ... أمانة في أعناقنا

٧٠٤٧ شارع ١٧ - المقطم - القاهرة - مصر

تليفون : ٥٠٨٧٣٨٣ ٢٠٢+ - ٥٠٧٦١٤٥ ٢٠٢+

E-mail : info@alwabell.com

www.alwabell.com